الحافظ أبو عمرو ابن الصلاح عصره, وحياته الشخصية والعلمية

د. محمد بن عبد الله الأطرش*

إنَّ الحمد لله نحمده, ونستعينه, ونستغفره, ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا, ومن سيئات أعمالنا, من يهده الله فلا مضل له, ومن يُضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له, وأشهد أنَّ محمدا عبده ورسوله. اللهم صل وسلم وبارك عليه, وعلى آله وصحبه, ومن اهتدى بهديه, واتبع طريقه إلى يوم الدين. وبعد:

فإنَّ سيرة الإنسان هي أمور ذاتية لصاحبها, تخصه دون غيره, ولا يستطيع القارئ لها أن يقتبس منها شيئا, أو ينتزعها من غيره, وإنما تحصل الاستفادة من سير الأعلام بالاطلاع على الجوانب العلمية والمنهجية فيها.

وهنا يُورِد بعضهم الاعتراض التالي: لِمَ نعرض تراجم الأعلام, ونهتم بذلك؟ وأي فائدة ترجى من دراستها؟

والجواب: أنَّ المنهج العلمي للإنسان إنما هو فرع عن سيرته وتبع لها, ولاحق بها؛ لذلك نعرض تراجم العلماء, ونهتم بها. كما أنَّ السيرة الذاتية, وإن لم تكن من كسب صاحبها إجمالا, فهي في الغالب مِنح ربانية لا دخل للمرء فيها, ولكن جانبا رحيبا منها من كسب غيره, فيُمكن الاستفادة منها من هذه الناحية؛ فبعضها من كسب والديه وفعلهما, كاختيار الاسم, والقيام بالتربية والتعليم, وبعضها من كسب المرء نفسه, كالتوجه إلى العلم, والانتهاض

* أستاذ التربية الإسلامية بالسلك الثانوي الإعدادي، المملكة المغربية. البريد الإلكتروني:
Latrach.mohammed.94@gmail.com

لتحصيله, والرحلة في سبيله, وانتقاء الشيوخ والمدارس التي تغذيه وتشحنه علميا وفكريا وتربويا, وهذه معارف في وسع القارئ أن يستفيد منها, ويأخذ العبر الكثيرة لنفسه وأولاده وأمته, كما أن مواقف العالم, ومناصبه, وأعماله في الحياة هي أمور اختيارية, فالرجل حيث يضع نفسه, فيمكن التأسي به, والاقتداء بفعاله ومواقفه.

ومن هذا المنطلق أعرض ذروا من ترجمة الحافظ الكبير أبي عمرو ابن الصلاح الشهرزوري (ت ٥٦٤٣) في فصلين:

- الفصل الأول: خصصته لدراسة الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية خلال عصر ابن الصلاح, وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: الأوضاع السياسية.

- المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية.

- المبحث الثالث: الأوضاع الاجتماعية.

- المبحث الرابع: الأوضاع العلمية والثقافية.

- الفصل الثاني: حياة أبي عمرو ابن الصلاح الشخصية والعلمية, وفيه تسعة مباحث:

- المبحث الأول: ابن الصلاح: اسمه, ونسبه, ومولده.

- المبحث الثاني: ابن الصلاح: بيته, ونشأته, وطلبه للعلم.

- المبحث الثالث: شيوخ ابن الصلاح وأساتذته.

- المبحث الرابع: المكانة العلمية لابن الصلاح وثناء العلماء عليه.

- المبحث الخامس: عقيدة ابن الصلاح وموقفه من الفلسفة.

- المبحث السادس: اشتغال ابن الصلاح بالتدريس.

- المبحث السابع: الآثار العلمية لابن الصلاح ومؤلفاته.

- المبحث الثامن: تلامذة ابن الصلاح وطلابه.

- المبحث التاسع: وفاة ابن الصلاح رحمه الله.

الفصل الأول: الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية خلال عصر ابن الصلاح

إذا كان الإنسان ابن بيئته فإن عصره الذي يعيش فيه لا شك تاركٌ عليه أبلغَ الأثر؛ فللعوامل المحيطة به في مجتمعه وبيئته, وللتيارات التي تعترضه, وللأحداث التي تفاجئه, انعكاس على اتجاهاته ومواقفه وتصوراته؛ لذلك خصَّصْتُ هذا الفصل لدراسة عصر أبي عمرو ابن الصلاح؛ لنقف على مدى تأثره به وتأثيره عليه.

كما أن للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية السائدة في عصر ما أهميتها في إعطاء تصور كامل عن الأوضاع العلمية؛ لذلك سأبين في هذا الفصل الجوانب العامة لتلك الأوضاع في بلاد الشام بصفة خاصة[١], ومن خلالها يمكننا الاطلاع على أحوال المشرق الإسلامي بصفة عامة.

ولبيان هذه الأهداف, ومحاولة البحث عن العوامل المؤثرة في الأوضاع العلمية في عصر ابن الصلاح؛ ارتأيت تقسيم الحديث عن عصره – بإيجاز – إلى أربعة مباحث؛

- المبحث الأول يدرس منها الأوضاع السياسية,

- المبحث الثاني: يدرس الأوضاع الاقتصادية,

---

[١]- وذلك أنّ أبا عمرو ابن الصلاح قضى الجزء الأكبر من حياته مقيما فيها؛ فقد دخلها في حدود سنة ٥٦١٣، وبقي فيها إلى أن توفاه الله تعالى سنة ٦٤٣هـ. يُنظر: "سير أعلام النبلاء" للذهبي (١٤٢/٢٣).

- المبحث الثالث: يدرس الأوضاع الاجتماعية,

- المبحث الرابع: يدرس الأوضاع العلمية والثقافية.

المبحث الأول: الأوضاع السياسية في عصر ابن الصلاح.

عاش ابن الصلاح في الرُّبعِ الأخير من القرن السادس, والنصفِ الأوَّلِ من القرن السابع (٥٧٧هـ-٦٤٣هـ). وهما من أشد عصور التاريخ الإسلامي اضطرابا وقلقا, وتفاوتا وتناقضا؛ فقد كانت سلطةُ الخلافة والدولِ القائمة – صوريا – تحت نفوذها في مد وجزر مطلقين, والسلطة في تموج شديد, وارتفاع وانخفاض.

ففي القرن السادس كانت الدولة العباسية تُعاني شدة الضعف جراء استيلاء الدويلات المجاورة لها على كثير من أجزائها[٢], وقد انعكس هذا التدهور على المجتمع الإسلامي سلبا, حتى بزغت شمس في الأُفق على يد الملك صلاح الدين الأيوبي[٣] الذي دافع عن بلاد المسلمين؛ فحرر بلاد الشام من الصليبيين, واسترجع بيت المقدس من أيديهم, وهزمهم في معركة حِطِّين الشهيرة[٤].

٢- للاطلاع أكثر على تاريخ الدول المستقلة التابعة وغير التابعة للخلافة العباسية ينظر: "تاريخ الدول المستقلة في المشرق عن الخلافة العباسية" لعطية القوصي.

٣- صلاح الدين الأيوبي هو: أبو المظفر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان بن يعقوب، الملقب بالملك الناصر، من أشهر ملوك الإسلام. ولد بتكريت عام ٥٣٢هـ، عُرف بقوته وجهاده في سبيل الله، واسترجاع بيت المقدس من يد الصليبيين، توفي عام ٥٨٩هـ. تُنظر سيرته في: "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية" لابن شداد (ت ٦٣٢هـ).

٤- وقعت سنة ٥٨٣هـ، وحِطِّين اسم قرية بين طبرية وعكا، وكانت هذه الواقعة بين المسلمين بقيادة صلاح الدين، وبين الصليبيين، انتهت بنصر المسلمين واسترجاع بيت المقدس، وهزيمة الصليبين هزيمة نكراء، وهو يوم مشهود في تاريخ الإسلام. ينظر: "الكامل في التاريخ" لابن الأثير (١٠/٢٤)، و"تاريخ الإسلام" للذهبي (١٢/٦٧٢-٦٨٢).

المطلب الأول: أوضاع الخلافة العباسية والدول المنشقة عنها:

أدرَك ابن الصلاح جملة من خلفاء بني العباس، وهم: الناصر لدين الله[٥]، والظاهر بأمر الله[٦]، والمستنصر بالله[٧]، والمستعصم بالله[٨]. وقد عاش عصرا مضطربا، وأحداثا جساما، ودولا مختلفة؛ فقد انقسم العالم الإسلامي خلال القرنين السادس والسابع الهجري، وقبل اجتياح المغول إلى كيانات سياسية مستقلة، أو شبه مستقلة عن سلطة الخليفة، فمن الشرق الدولة الخُوارزمية[٩]، وأتابكية[١٠] فارس[١١]، بالإضافة إلى طائفة الإسماعيلية[١٢]، ومن الشمال والغرب الحكام

---

[٥]- هو: أبو العباس الناصر لدين الله أحمد بن الحسن بن يوسف بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن أحمد بن إسحاق بن جعفر بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي ابن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب. ولد سنة ٥٥٣هـ، كان ذكيا شجاعا مهيبا، بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه المستضيء بالله سنة ٥٧٥هـ، ولم يزل خليفة إلى أن توفي في رمضان سنة ٦٢٢هـ، واستمرت خلافته ٤٦ عاما وعشرة أشهر، وهو أطول خلفاء بني العباس مدة. ينظر: "التكملة لوفيات النقلة" للمنذري (١٠٦/٣-١٦١).

[٦]- هو: أبو نصر الظاهر بأمر الله محمد بن أحمد بن الحسن. ولد سنة ٥٧١هـ، وبويع بالخلافة عقب موت أبيه، وكان مستقيما محبا للخير، وحُمدت أيامه على قِصرها، واستمر خليفة إلى ١٤ رجب سنة ٦٢٣هـ، فكانت خلافته تسعة أشهر و١٤ يوما. ينظر: "التكملة لوفيات النقلة" للمنذري (١٨٢/٣-١٨٣).

[٧]- هو: أبو جعفر المستنصر بالله منصور بن محمد بن أحمد بن الحسن. ولد عام ٥٨٨هـ، كان حازما عادلا حسن السياسة، بويع بالخلافة يوم وفاة والده، واستمر خليفة إلى أن توفي سنة ٦٤٠هـ. فكانت خلافته ١٧ عاما. ينظر: "التكملة لوفيات النقلة" للمنذري (٦٠٧/٣).

[٨]- هو: أبو أحمد المستعصم بالله عبد الله بن منصور بن محمد بن أحمد، ولد سنة ٦٠٩هـ، بويع بالخلافة سنة ٦٤٠هـ، ولم يزل خليفة إلى أن قُتِلَ بين يدي هولاكو (قائد التتار) في ٢٠ محرم سنة ٦٥٦هـ، وبمقتله انتهت خلافة بني العباس في العراق. ينظر: "تاريخ الإسلام" للذهبي (٨١٨/١٤).

[٩]- الخُوارزمية: تمكن الخوارزميون من تشكيل إمبراطورية ممتدة الأرجاء في بلاد ما وراء النهر وإيران، وهم من أصل تركي، يدينون بالإسلام، بدأ مُلْكُهُم مع نوشتكين في سنة ٤٧٠هـ، وانتهت هذه الدولة في عهد آخر ملوكها جلال الدين ابن خُوَارَزم شاه في سنة ٦٢٨هـ. ينظر: "مرآة الزمان" لسبط ابن الجوزي (٣٠٨/٢٢-٣١١-٣١٢).

[١٠]- الأتابكة جمع أتابك، وهي كلمة مركبة من لفظين تُرْكِيَّين؛ "أتا" أي: الأب أو المربي، و"بك" أي: الأمير، فيكون معنى الكلمة "مربي الأمير"، ثم توسعت دلالاتها فأصبحت تشمل: الملك، والوزير الكبير، والأمراء البارزون الذين يَمُتُّون بصلة القرابة إلى السلاجقة. أمَّا في عهد المماليك فأُطلقت على أمير العسكر، ومنه شاع لقب أتابك العسكر. ينظر: "وفيات الأعيان" لابن خلكان (٣٦٥/١).

[١١]- أتابكية فارس: تُنسب هذه الأتابكية إلى سلغر قائد إحدى قبائل التركمان التي هاجمت خراسان، فاستولى خلفاؤه على إقليم فارس سنة ٥٤٣هـ، وخضعت فيما بعد لهولاكو سنة ٦٨٦هـ. ينظر: "تاريخ الإسلام" لحسن إبراهيم حسن (٩١/٤)، و"الدولة العباسية" لمحمد الخضري (ص: ٥٢١).

[١٢]- الإسماعيلية: من فرق الشيعة الغلاة، سميت بهذا الاسم نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر (ت ١١٤٣ه)، وعُرفوا أيضا بالحشاشين؛ لكون أتباعهم كانوا يتعاطون نبات الحشيش. تفرع مذهبهم من العقيدة النزارية الفاطمية. تمكن قائدهم حسن الصباح (ت ٥١٨هـ) من الاستيلاء على قلعة ألموت (حصن جبلي يوجد وسط جبال البرز جنوب غرب بحر قزوين) والجبال المتاخمة لها.

الأيوبيون[١٣] في بعض مدن الجزيرة الفراتية[١٤]، وبلاد الشام، ومصر، وأتابكية الموصل، إلى جانب الإمارات الكردية المتعددة في أنحاء كردستان[١٥].

ولم تكن للدولة العباسية في بغداد سلطة سياسية تمكنها من ضمِّ تلك الممالك الإسلامية تحت سيادتها واستخدامها للدفاع عن البلاد الإسلامية، واقتصرت سلطة الخليفة خارج رقعة بلاده الضيقة على المظهر الديني[١٦]. وعلى الرغم من ضعف الخلافة العباسية إلا أنَّ السلاطين الأيوبيين حافظوا على ولائهم لها، واحترموا وجودها حتى زالت دولتهم، وأقاموا الخطبة على المنابر باسم خلفاء بني العباس[١٧]. وبدخول القرن السابع الهجري، دخلت الخلافة العباسية دور الاحتضار، ولم يبق منها سوى الاسم.

المطلب الثاني: أحوال الشام بعد وفاة صلاح الدين:

وبإلقاء نظرة سريعة على أوضاع بلاد الشام بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي عام ٥٨٩ه، نلاحظ أنه خلف دولة مترامية الأطراف، وفراغا كبيرا لم يستطع أحدٌ من أبنائه السبعة عشر أو إخوانه

ومنها بدأ في شن غاراته على شمال إيران ودولة السلاجقة، وفي عام ٦٥٤هـ قام هولاكو قائد التتار بالقضاء على فروعهم في فارس وقلعة ألموت، كما قام القائد المملوكي الظاهر بيبرس سنة ٦٦٩هـ بدحر آخر معاقلهم في الشام. للمزيد من التفصيل ينظر: "السلاجقة في التاريخ والحضارة" لأحمد كمال الدين حلمي (ص: ١٦٧-١٨٧)، و"البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان" لأبي الفضل السكسكي (ص: ٨١-٨٥)، و"الإسماعيلية: تاريخ، وعقائد" لإحسان إلهي ظهير (ص: ٥٦)، و"أصول الإسماعيلية" لسليمان عبد الله السلومي (ص: ٣٩٠-٤٠٢).

[١٣]- الدولة الأيوبية: (٥٦٧هـ - ٦٤٨هـ) نشأت في مصر، أسسها السلطان يوسف صلاح الدين بن أيوب، وامتدت لتشمل الشام، والحجاز، واليمن. ينظر: "التاريخ الإسلامي" لمحمود شاكر (٦/٣٠٤-٣٠٩).

[١٤]- الجزيرة الفراتية إقليم في شمال شرق سوريا، يضم السهول الممتدة ما بين نهر الفرات ونهر دجلة، وتسمى أيضا سهول الجزيرة، تجري فيها عدة أنهار تصب جميعها في الفرات. ينظر: "الجمهورية العربية السورية" لمحمد عبد الحميد الحمادي، ضمن "الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي" (٤/٩٣٢).

[١٥]- "تاريخ الإسلام: السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي" لحسن إبراهيم حسن (٤/١٠٠-١٠٢).

[١٦]- "تاريخ الإسلام" لحسن إبراهيم حسن (٤/١٢٩).

[١٧]- "التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية" (ص: ١٥٦)، و"الكامل في التاريخ" (٩/٣٦٤) كلاهما لابن الأثير، و"الروضتين في أخبار الدولتين" لأبي شامة (٢/١٨٩).

أو أحد أفراد أسرته أن يملأه، فقامت منازعات بين ورثته على تقسيم الممتلكات التي خلفها. فقبل وفاته عين أولاده حكاما على المناطق الرئيسية في دولته، كما استعان ببعض أقاربه[١٨]، فكان كل واحد من أمراء البيت الأيوبي مستقلا بنفسه، وكانوا في نزاع وخلاف دائمين، بل وصل بهم الحال أن تحالف بعضهم مع الصليبيين، واستعانوا بهم على إخوتهم، أو أبناء إخوتهم، فسلموهم البلاد والقلاع والحصون؛ فالملك الصالح إسماعيل حاكم دمشق – مثلا – تواطأ مع الفرنج، وسلمهم بعض البلاد سنة ٦٣٨ه ليساعدوه على حاكم مصر ابن أخيه نجم الدين أيوب[١٩]. فاشتد بذلك ضعفهم يوما بعد يوم، وهزلت صورتهم وكيانهم أمام الوقوف في وجه المغول، والخطر الصليبي[٢٠].

المطلب الثالث: الحروب الصليبية:

وأثناء ذلك استمرت تهديدات الإمارات الصليبية[٢١] قائمة في الشام، بل نشطت في هذه الآونة الحملات الصليبية، فجرت عدة معارك بين الصليبيين والقوات الإسلامية، وكان النصر سجالا بين الطرفين؛ فكانت الحملة الرابعة بقيادة أمراء فرنسيين ودوق البندقية (٥٥٩٩ - ٥٦٠١)، والتي أدت إلى حصار القسطنطينية، إلى أنْ «استسلمت المدينة وسقطت في أيدي الصليبين والبنادقة»[٢٢]، ثم الحملة الصليبية الخامسة سنة ٦١٥ه بقيادة دوق النمسا (ليوبولد) وملك

---

[١٨]- "الكامل في التاريخ" لابن الأثير (١٢٠/١٠).

[١٩]- "مرآة الزمان" لسبط ابن الجوزي (٣٧٠/٢٢)، و"تاريخ الإسلام" للذهبي (٢٧/١٤).

[٢٠]- ينظر: "الكامل في التاريخ" لابن الأثير (١٢٩/١٠ و١٣٧-١٤٠ و١٥٩-١٦٠ و١٧٣-١٧٥).

[٢١]- الإمارات الصليبية في الشام هي: الرها، وأنطاكية، وطرابلس، وبيت المقدس التي كانت أعظم هذه الإمارات، ومن ثم كان من يحكمها يلقب ملكا. ينظر: "الحروب الصليبية في المشرق والمغرب" لمحمد العروسي المطوي (ص: ٥٦-٥٨).

[٢٢]- "الحروب الصليبية في المشرق والمغرب" لمحمد العروسي المطوي (ص: ١٠٤).

هنغاريا (أندريه الثالث) وملك قبرص (بهمايو)، ثم الحملة التي اتجهت نحو مصر واحتلت مدينة دمياط سنة ٦١٦هـ، ثم هزيمتهم وانسحابهم منها سنة ٦١٨هـ، وحين جاءت الحملة الصليبية السادسة سنة ٦٢٥هـ بقيادة فردريك الثاني ملك ألمانيا كان التمزق الأيوبي والصراع الداخلي على أشده، فبالرغم من حرمانه من تأييد الكنسية وقلة أعوانه استطاع استعادة بيت المقدس من الأيوبيين صلحا، فدخله وتوج ملكا على القدس[٢٣]. إلا أنَّ الملك الصالح أيوب[٢٤] تمكن من استرداد القدس بمساعدة بقايا الخُوارزمية، مما أثار قيام الحملة الصليبية السابعة سنة ٦٤٦هـ بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا، الذي سار بجيشه نحو المنصورة، وكان هدفهم الاستيلاء على مصر، وجعلها الطريق الممهدة لاسترجاع القدس من جديد، وقد تصدى الصالح أيوب لهذه الحملة، إلا أنه توفي أثناء ذلك، فاتخذ الملك الفرنسي – فور علمه بذلك – قرارا بالزحف نحو القاهرة، فأدى به ذلك إلى الاخفاق ووقوعه وجيشه في الأسر عام ٦٤٨هـ[٢٥]. وخلال هذه المرحلة الحرجة قامت شجر الدر[٢٦]، أرملة الصالح أيوب، بإدارة الدولة، واستُدعي في الوقت نفسه توران شاه بن الصالح أيوب[٢٧] ونُصِّب سلطانا، غير أنه اغتيل من قِبل قادة المماليك،

---

[٢٣]- "الكامل في التاريخ" لابن الأثير (١٠/٤٣٤).

[٢٤]- الصالح أيوب هو: أبو الفتوح نجم الدين أيوب بن محمد (الملك الكامل) بن أبي بكر بن أيوب، سابع سلاطين بني أيوب بمصر، ولد بالقاهرة سنة ٥٠٣هـ، تولى الحكم سنة ٦٣٧هـ، ضَبط الدولة بحزم، وكان شجاعا مهيبا عفيفا، توفي بالمنصورة سنة ٦٤٧هـ. ينظر: "الوافي بالوفيات" للصفدي (١٠/٣٥).

[٢٥]- للاطلاع أكثر على تاريخ الحروب الصليبية ينظر: "الحروب الصليبية في المشرق والمغرب" لمحمد العروسي المطوي، و"الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية" لسهيل زكار.

[٢٦]- شجر الدر الصالحية (ت ٦٥٥هـ)، أم خليل، الملقبة بعصمة الدين، كانت جارية اشتراها السلطان نجم الدين أيوب، وحظيت عنده بمكانة عالية فأعتقها وتزوجها؛ فأنجبت منه ابنها خليلا (ت ٦٤٨هـ). تولت عرش مصر لمدة ثمانين يوما بمبايعة من المماليك بعد وفاة السلطان الصالح أيوب، ثم تنازلت عن العرش لزوجها المعز أيبك سنة ٦٤٨هـ. ينظر: "الوافي بالوفيات" للصفدي (١٦/٧٠).

[٢٧]- توران شاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد، ثامن سلاطين بني أيوب بمصر، وآخرهم، قاتل الصليبيين واسترد دمياط، دامت مدة سلطنته ٤٠ يوما، توفي سنة ٦٤٨هـ. ينظر: "الوافي بالوفيات" للصفدي (١٠/٢٧٤).

وبمقتله انتهى حكم الأيوبيين في مصر سنة ٦٤٨هـ[٢٨]. المطلب

الرابع: الغزو المغولي:

وأثناء ذلك كانت «الدنيا تغلي بالتتار»[٢٩]، وكانت شوكتهم تقوى يوما بعد يوم، حتى تمكّنوا من القضاء على السلطان جلال الدين خُوَارَزْم[٣٠].

وبسقوط الدولة الخُوَارَزْمِية أصبح العالم الإسلامي وجها لوجه مع التتار؛ فبدأت هجماتهم على مَازَنْدَرَان[٣١] سنة ٦١٧هـ، كما قصدوا مدينة بدليس (في جنوب تركيا الآن) فقاموا بإحراقها، والاستيلاء على القلاع المحيطة بها، كما تعرضت منطقة إربل ونواحيها إلى غارات المغول مرات عديدة؛ فهوجمت سنة ٦٢٨هـ، لكنهم لم يتمكنوا من دخولها لقلعتها الحصينة، وتوجهوا نحو بلدة كَرْخيني[٣٢]، وبلدة دَقُوقا[٣٣] وقتلوا أعدادا هائلة من سكانها ودمروا مبانيها[٣٤]. ثم زحفوا بعد ذلك على إقليم أذربيجان فضموه إلى ملكهم. بل ضموا شمال إقليم فارس إلى الإمبراطورية التترية، وذلك سنة ٦٢٩هـ. وعاود المغول هجومهم على إربل

---

[٢٨]- ينظر: "الذيل على الروضتين في أخبار الدولتين" لأبي شامة (٥/٢٨٣-٢٨٤).

[٢٩]- "العبر في خبر من غبر" للذهبي (٥/٧٢- حوادث سنة: ٦١٨هـ).

[٣٠]- ينظر: "الكامل في التاريخ" لابن الأثير (١٠/٤٤٥)، و"النجوم الزاهرة" لابن تغري بردي (٦/٢٧٦-٢٧٧)، و"شذرات الذهب" لابن العماد (٧/٢٢٢). وجلال الدين خُوارزم: اسمه تُكش، وقيل: محمود ابن محمد تُكُش، أبو المظفر منكبرتي، آخر سلطان خُوارزمي، تولى الحكم بعد أبيه السلطان علاء الدين محمد الخوارزمي سنة ٦١٧هـ. تُنظر ترجمته في: "سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي" لمحمد بن أحمد النسوي (ت ٦٤٧هـ).

[٣١]- مازندران: اسم لولاية طبرستان. ينظر: "معجم البلدان" لياقوت الحموي (٥/٤٨).

[٣٢]- هي مدينة كركوك العراقية حاليا. "موسوعة المدن والمواقع في العراق" لبشير يوسف فرنسيس (٢/٨٨٧).

[٣٣]- دقوقا: مدينة بين إربل وبغداد، على بعد ٢٨ ميلا جنوب كركوك. ينظر: "موسوعة المدن والمواقع في العراق" لبشير يوسف فرنسيس (١/٤٠١-٤٠٤)، و"معجم البلدان" ليقوت الحموي (٢/٥٢٣)، و"مراصد الاطلاع" لصفي الدين البغدادي (٢/٥٣٠).

[٣٤]- "الكامل في التاريخ" لابن الأثير (١٠/٤٥٠).

وتهديدها بفرض الحصار عليها سنة ٦٣٤هـ، حتى فتحوها؛ فقتلوا أهلها، وسبوا ذراريهم، ودمروها[٣٥]. وفي سنة ٦٣٩هـ توجه المغول نحو المدن الكردية في الجهة الشمالية الغربية من مدينة إربل فالتحموا بسلاجقة الروم في أرضروم[٣٦]، وسقطت المدينة في أيديهم، وفي سنة ٦٤٠هـ استولوا على سيواس[٣٧]، وقيسارية[٣٨]، وعاثوا في البلاد فسادا وخرابا ودمارا. وكان آخر الأمر سقوط عاصمة الخلافة بغداد في أيديهم سنة ٦٥٦هـ[٣٩].

وقد امتد حكم المغول من شرق آسيا إلى أواسط أوروبا، ومن جنوب روسيا حتى الخليج العربي[٤٠].

وبصفة عامة يمكن القول: إنَّ الأوضاع السياسية في عصر ابن الصلاح لم تكن مستقرة، بل من أبشع صور التاريخ الإسلامي، وأحطها على الإطلاق؛ فقد تعرضت المنطقة للغارات من قِبل الصليبيين من جهة الغرب، والمغول من جهة الشرق، والانقسام في الداخل، وأما حُكام البلاد الإسلامية ففي تقاتل وتناحر ونزاع على السلطة مما يندى له الجبين.

---

[٣٥]- "البداية والنهاية" لابن كثير (١٥/٢١١-٢١٢).

[٣٦]- أرضروم: مدينة تركية شرق الأناضول، قاعدة ولاية باسمها، وموقع حربي قديم. يُنظر: "موسوعة المدن العربية والإسلامية" ليحيى الشامي (ص: ٣٠٤).

[٣٧]- سيواس: مدينة تقع شرق الأنضول بسفح جبل كيزيل أرماق، كانت تعرف قديما باسم سَبَطِية، على أعالي الفرات. يُنظر: "موسوعة المدن العربية والإسلامية" ليحيى الشامي (ص: ٣١٦).

[٣٨]- قيسارية (قيصرية): مدينة كبيرة في بلاد الروم، مركز حكم السلاجقة، تقع حاليا في وسط تركيا، إلى الشمال الشرقي من جبال طوروس، وعلى الطريق الرئيسية بين أنقرة في الشمال الغربي، ومرسين في الجنوب الغربي. ينظر: "موسوعة المدن العربية والإسلامية" ليحيى الشامي (ص: ٣١٩)، و"معجم البلدان" للحموي (٤/٤٧٨)، و"مراصد الاطلاع" للقطيعي (٣/١١٣٩).

[٣٩]- ينظر: "البداية والنهاية" لابن كثير (١٥/٣١٢). وهذه الحادثة لهولها وشدتها، وكثرة أحداثها، وترابطها، لا يمكن أن نأتي عليها بجملتها أو نفصل القول في كل حدث من أحداثها، فذلك ميدانه الكتب المختصة، ينظر على سبيل المثال: "قصة التتار من البداية إلى عين جالوت" لراغب السرجاني، و"دولة المغول والتتار بين الانتشار والانكسار" لعلي الصلابي، و"المغول في التاريخ" لفؤاد الصياد، و"كيف دخل التتر بلاد المسلمين؟" لسليمان العودة، و"المغول: بيئتهم الطبيعية، وحياتهم الاجتماعية والدينية" لسعد الغامدي.

[٤٠]- "الدولة الخوارزمية والمغول" لحافظ أحمد حمدي (ص: ٢٩٧).

المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية في عصر ابن الصلاح.

من خلال حديثنا عن الأوضاع السياسية في عصر ابن الصلاح يتبين لنا مدى سوء تلك الأوضاع ومرارتها، فقد صحب تلك الأوضاع فوضى واضطراب في النواحي الاقتصادية، باعتبار أنَّ الشؤون الاقتصادية – في أي مجتمع – من أكثر الجوانب تأثرا بما يحدث من تغيرات سياسية، وانعكاسات ناتجة عن طبيعة المنهج المتبع في الحكم.

وللارتباط التبادلي بين الاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي؛ فقد كانت الأزمات السياسية في جميع الأحيان سببا رئيسيا في حدوث الاضطرابات الاقتصادية؛ من ارتفاع في الأسعار، وتهافت على شراء الأقوات... فكلا المظهرين يمثلان طرفا مقابلا للآخر لمحور رئيس هو مركز ذلك المجتمع.

وقد صحِب هجومَ المغول العنيف على البلاد الإسلامية تدهورٌ اقتصادي في معظم مناطق القارة الآسيوية؛ فتعطلت الحركة الاقتصادية، واضمحلت الطرق التجارية وانعدمت المواصلات البرية[٤١]. كما خربت المدن والمباني والعمائر، وتفشت الأمراض، والأوبئة، والطاعون، نتيجة للجثث البشرية الكثيرة التي خلفها الغزو المغولي وراءه[٤٢].

ومنذ أوائل القرن السابع الهجري اشتد في بلاد الشام الغلاء، وتحققت المجاعة، وافتقر الناس، مما أدّى ببعضهم إلى أكل الميتة، والجيف، والكلاب، والقطط، بل وأكل البشر[٤٣]. ونتج عن هذه

---

[٤١]- نفسه (ص: ٢٩٨).

[٤٢]- نفسه (ص: ٢٩٧).

[٤٣]- ينظر: "الكامل في التاريخ" لابن الأثير (١٠/٣٨٧-٤٠٥-٤٠٦-٤٢٦)، و"مرآة الزمان" لسبط ابن الجوزي (٢٢/٩٠-٣٨٩)، و"الذيل على الروضتين" لأبي شامة (٥/٣١)، و"البداية والنهاية" لابن كثير (١٤/٤٦١-٤٦٢ و١٥/١٣٨-١٥٨-٢٥٠)، و"السلوك لمعرفة دول الملوك" للمقريزي (١/٤٢٤).

الأوضاع فوراق اقتصادية؛ فقد كان بعض الأغنياء والتجار والرؤساء يتمتعون برخاء اقتصادي، أمّا العامة فقد تدهور وضعهم بسبب سوء الأوضاع الاقتصادية, وسوء توزيع الثروة العامة, فعكف فريق من الرؤساء والأغنياء – كما هو الحال في عصور الفوضى السياسية – على اللهو والترف والبذخ, وحُرمت العامة من القوت الضروري. وزاد الأوضاعَ سوءا لجوءُ بعض الحكام إلى سياسة فرض الضرائب والمكوس على الناس, ومصادرة الأموال ونهبها, وانتشرت تبعا لذلك الرِّشوة, وفُقد الأمن والطمأنينة بسبب انتشار القتل واللصوصية والتعرض للقوافل التجارية, وليس أدلّ على ذلك من مقتل أبي الحسن علي بن القاسم بن علي بن الحسن بن عساكر[٤٤]، في طريق عودته من خراسان إلى بغداد؛ فقد اعترض طريق قافلة كان موجودا بها مجموعة من اللصوص, فطعنوه مما أدى إلى وفاته أثناء دخوله بغداد متأثرا بجروحه سنة ٦١٦هـ[٤٥]. فكان لكل ما سبق أسوأ الآثار على جميع فئات المجتمع.

ومما سبق يظهر جليا أنّ الأوضاع الاقتصادية في هذه المرحلة التاريخية شبيهة بالأوضاع السياسية وتبع لها, فقد أعقب فقدان الاستقرار السياسي فسادٌ وتدهور في الوضع الاقتصادي, ولا أدل على سوء أحوال الناس الاقتصادية من اضطرارهم إلى أكل الجِيَف. غير أنَّ هذا لا يعني انعدام الرخاء الاقتصادي في بعض الأحيان؛ فقد كان يعم البلاد رخاء في فترات ملحوظة, وخاصة عند وُجود الاستقرار السياسي[٤٦].

---

[٤٤]- تُنظر ترجمته في "سير أعلام النبلاء" (٢٢/١٤٥-١٤٦)، و"تاريخ الإسلام" (١٣/٤٨٠-٤٨١) كلاهما للذهبي، و"البداية والنهاية" لابن كثير (١٥/٩٩-١٠٠).

[٤٥]- ينظر: "الكامل في التاريخ" لابن الأثير (١٠/٣٣٢)، و"الذيل على الروضتين" لأبي شامة (٥/١٨٢).

[٤٦]- خاصة في عهد صلاح الدين الأيوبي الذي أمر بإسقاط المكوس والضرائب التي عانى منها الناس، وأمَّن طرق التجارة البرية والبحرية، فازدهرت في عصره الفلاحة، والتجارة، والصناعة. ينظر: "الروضتين في أخبار الدولتين" لأبي شامة (٣/١٧٥-١٧٦).

المبحث الثالث: الأوضاع الاجتماعية في عصر ابن الصلاح.

إنَّ الحالة الاجتماعية لعصر ما تتضافر في تكوينها جملة من العوامل؛ كالموقع الجغرافي، وطبيعة البلاد، ويدخل في ذلك معرفة المهن التي يمتهنها أفراد ذلك المجتمع، وكذا الملل والنحل.

وما من شك أنَّ العلاقة بين الأوضاع الاجتماعية من جهة، وبين الأوضاع السياسية والاقتصادية من جهة أخرى علاقة طردية، فهي انعكاس يجلي بوضوح بنية الدولة ككل؛ وقد انعكست الأوضاع السياسية والاقتصادية غير المستقرة لعصر ابن الصلاح سلبا على المجتمع الإسلامي عامة، والشامي خاصة، وهذا ما سأعمل على تجليته في هذا المبحث بإيجاز.

المطلب الأول: المكونات العرقية والدينية للمجتمع:كان المجتمع الإسلامي يتألف من عدة عناصر عرقية: العرب، والفرس، والكرد، والترك، والديلم[٤٧]، والهنود، والروم، والكُرْج[٤٨]، والجركس[٤٩]، وغيرهم. ولا شك أنَّ اجتماع هذه الأجناس المختلفة مع بعضها – مع ما يحمله كل جنس منهم من ثقافة موروثة – كفيل بظهور سمات معينة للمجتمع الذي يعيشون فيه[٥٠]. غير أنّ هذه الاختلافات العرقية والسياسية والدينية لم تذب الذوبان الكامل، فقد

---

[٤٧]- الديلم أو الديالمة، إحدى الشعوب الإيرانية التي عاشت في شمال الهضبة الإيرانية، جاء ذكرهم على ألسنة المؤرخين في بدايات انتشار الإسلام. ويُذكر أنهم كانوا يتحدثون لغة من فروع اللغات الإيرانية الشمالية الغربية. ينظر: "معجم البلدان" للحموي (٢/٦١٤-٦١٥)، و"مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع" لصفي الدين البغدادي (٢/٥٨١).

[٤٨]- الكرج: جيل من الناس نصارى، كانوا يسكنون في جبال القَبْق (جبال القوقاز حاليا) وبلد السرير، فقويت شوكتهم حتى ملكوا مدينة تفليس (تبليسي حاليا)، وهي جمهورية جورجيا حاليا. ينظر: "معجم البلدان" للحموي (٤/٥٠٦)، و"مراصد الاطلاع" لصفي الدين البغدادي (٣/١١٥٥)، و"بلاد العربية الضائعة: جورجيا" لمحمد العبودي (ص: ١٨-٢٥).

[٤٩]- الجركس: ويُسَمَّوْنَ أيضا: الشركس، والسركس؛ مجموعة شعوب تشمل سكان شمال القوقاز (سلسلة جبلية تفصل بين أوروبا وآسيا) من أديغة، وشيشان، وآفار، ولزجين، وغيرهم. ينظر: "بلاد الشركس" لمحمد العبودي (ص: ١٣-١٥).

[٥٠]- ينظر: "تاريخ الإسلام" لحسن إبراهيم حسن (٤/٥٨٦).

كانت النصرانية واليهودية والمجوسية، وبالأخص في بلاد الشام، وكان يُعَاوِنُ في إذكاء أحقادهم وإلهاب شررهم غزو مغولي غاشم، وحملاتٌ صليبية غادرة، وزحف طائفي خبيث؛ فقد كان في بلاد الشام من الفرق الباطنية: الإسماعيلية، والدرزية، والنُّصيرية، والسامرة، بل بلغت النحل سبع عشرة ملة ونحلة[٥١].

المطلب الثاني: طبقات المجتمع:

وقد كان المجتمع مكونا من ثلاث طبقات: الطبقة الأولى وتسمى طبقة الخاصة: وتمثل الخليفة، وذوي قرباه، ورجال دولته البارزين، وتوابع هؤلاء جميعا، من أمراء ووزراء، وكتاب، وقضاة، وتجار كبار، وغيرهم من أصحاب النفوذ والسلطة التي تختلف باختلاف مواقعهم. والطبقة الثانية الوسطى: طبقة التجار، والملاك المتوسطين، والحرفيين، وغيرهم. والطبقة الثالثة الدنيا: طبقة الفقراء، وتسمى العامة، أو السواد الأعظم من الناس الذين تجرعوا شظف العيش، وضيق الحال[٥٢]. وهي قسمان:

أ- سكان القرى وغالبيتهم من الفلاحين والمشتغلين بالمعادن؛ فبلد كالشام لا بد أن تنمو فيه الزراعة وتتقدم؛ فهو «قُطر تأخذ فيه الفصول الأربعة حكمها، وتتم في قيعانه وجباله أسباب النعيم، معتدل الأهوية، متهاطل الأمطار والثلوج، ممرع التربة، فيه الغابات والمعادن، والحمامات المعدنية، والأنهار الجارية، والبحيرات النافعة، والأجواء البهجة، والرباع المنبسطة، والمناظر المدهشة [...] وفيه تنبت الحبوب، والبقول، والأشجار على اختلاف

---

[٥١]- ينظر: "خطط الشام"، محمد كرد علي، مكتبة النوري – دمشق، ط: الثالثة، سنة: ١٩٨٣م، (٦/٢٠٥-٢٧٣).

[٥٢]- "تاريخ الإسلام" لحسن إبراهيم حسن (٤/٥٨٦).

أنواعها؛ ففي جنوبيه وشرقيه النخيل، وفي سواحله البرتقال، وفي أواسطه السَّرْو[٥٣] والأَرْز. ويوجد فيه القطن، والقنب، والكتان، والحرير، وقصب السكر، والعسل، وشجر الأرز، والفُوَّة[٥٤] [...] وتصلح مراعيه لتربية ضروب الماشية، وفي أرضه ومياهه أنواع الطيور والأسماك [...] فيه زهاء مائة وثلاثين منجما لم يُستثمر منها إلا القير[٥٥]، على أن فيه الذهب، والفضة، والحديد، والفحم الحجري، والرصاص، والمغرة[٥٦]، والنحاس، والكبريت، والجبس، والإثمد، والزاج، والمرمر...»[٥٧].

ب- سكان الحواضر وغالبيتهم من أهل العلم والصناعة والتجارة والباعة والرعاع. ومن سكان المدن من كان مقربا من طبقة الخاصة مثل: العلماء، والفقهاء، والمحدثين، والأدباء، والنحاة، والشعراء، والمترجمين...

المطلب الثالث: المماليك والرقيق:

وكثر في هذه المرحلة استخدام المماليك والرقيق، وخاصة من قِبَلِ الأمراء الأيوبيين أكثر مما كان سائدا من قبل، وذلك نتيجة الصراعات والمنازعات الداخلية ما بين الأمراء أنفسهم، والحروب الخارجية مع الصليبيين والمغول؛ فقد كانوا على الدوام بحاجة إلى الجند، ولم يكن

٥٣- السَّرْو: هو شجر، واحدته سَرْوَة. ويقال: العَرْعر، شجر عظيم جبلي لا يزال أخضر، تسميه الفرس السرو. "المعجم المفصل في الأشجار والنبات" لكوكب دياب (ص: ١١٨)

٥٤- الفوة: هي عروق نبات يستخرج من الأرض يُصبغ بها. قال أبو حنيفة: (الفُوَّة عروق ولها نبات يسمو دقيقا، وفي رأسه حبٌّ أحمر شديد الحمرة كثير الماء، يُكتب بمائه وينقش). "المعجم المفصل في الأشجار والنبات" لكوكب دياب (ص: ٢٠٠-٢٠١).

٥٥- "القير والقارُ: لغتان، وهو صُعُدٌ يذابُ فيُستَخرَجُ منه القارُ، وهو شيء أَسود تطلى به الإِبل والسفن، يمنع الماء أَن يدخل. "لسان العرب" لابن منظور (١٢٤/٥).

٥٦- المَغَرَةُ والمَغْرَةُ: طِين أَحمرُ يُصْبَغُ به، والمَغَرُ والمُغْرَةُ: لونٌ إِلى الحُمْرَةِ. "لسان العرب" لابن منظور (١٨١/٥).

٥٧- "خطط الشام" لمحمد كرد علي (١٤/١-١٥ – بتصرف).

ذلك صعبا عليهم مع وجود الإقطاع العسكري الذي يَمنح القادة ربع الأرض مدى الحياة مقابل تقديم جماعة من الجند للسلطان[٥٨]. فانصرف الإقطاعيون إلى شراء المماليك ليكونوا أدوات حرب، وكان المماليك عامة خليطا من اليونانيين، والترك، والمغول، والجركس، وقد احتل هؤلاء مكانة بارزة في المجتمع الإسلامي، وأصبحوا من حماة الدين.

فأثرت هذه الزيادات في التركيبة الاجتماعية في المناطق التي قَطنها المماليك، مما أحدث جوا من المنافسة مع السكان الأصليين على المراكز الاجتماعية، وأثرت بصيغة أو بأخرى في مسار الحياة المتعارف عليه في تلك البلدان[٥٩].

المطلب الرابع: المفاسد والآفات:

وقد نتج عن هذه التفاوتات الطبقية، وسوء توزيع الثروات؛ فساد في الوضع الاجتماعي واضطراب في حياة الناس. كما انتشرت المظالم وأرهقت الضرائب غالبية السكان، وفقد الناس الأمان والطمأنينة، واستشرى الفساد، خاصة بين الأمراء والملوك والأعيان، بل إنّ ابن الأثير يصف الخليفة الناصر لدين الله (ت ٦٢٢ه)، بأنه كان قبيح السيرة في رعيته، ظالما، جعل جُل همه في رمي البندق والطيور...[٦٠]، وكان في قصره بِركة يجمع فيها ما يتحصل من

٥٨- "نشأة الإقطاع في المجتمعات الإسلامية"، عبد العزيز الدوري، "مجلة المجمع العلمي العراقي"، المجلد: ٢٠، سنة: ١٩٧٠م، (ص: ٢٤٣-٢٦٧).

٥٩- "تاريخ الإسلام" حسن إبراهيم حسن (٥٨٧/٤).

٦٠- "الكامل في التاريخ" لابن الأثير (٤٠٠/١٠).

الذهب, ويقف على حافتها ويقول: (أترى أعيش حتى أملأها؟!)[٦١].

كما شاع في هذا العصر شرب الخمور, وانتشر الانحلال الخُلقي[٦٢], وكثر استخدام الحشيش في أوساط بعض الطرق الصوفية المنحرفة, بل كان يُزرع ويُعصر ويُخزن ليباع للناس[٦٣].

وأيضا إلى جانب هذه الحال المحزنة التي وصلت بالناس, فَقَدْ كان العالم الإسلامي من حين لآخر تجتاحه موجات القحط والجدب, إضافة إلى الجراد, وفشو الأمراض التي قضت على قُرى بأكملها[٦٤].

وبالإضافة إلى هذا كله كثرت الزلازل في تلك الحقبة, وكان أعظمها زلزال سنة ٥٥٩٧ الذي تهدمت على إثره مدينة نابلس, فلم يبق فيها جدار قائم[٦٥], وزلزال سنة ٥٦٠٠, والذي عمّ أكثر البلاد المصرية, والعراقية, والشامية, وبلاد الروم, وصقلية, وقبرص[٦٦].

كما أدى شيوع الفقر إلى انتشار الدجل والتزييف وتعلق الناس بالأسباب المتوهمة في الغنى لعجزهم عن تحصيله بالوسائل المشروعة والمعقولة؛ فصارت عقائد المسلمين وعقولهم

---

[٦١]- "البداية والنهاية" لابن كثير (٢٣٦/١٥). ولا يُفهم من هذا الكلام أن سائر الملوك والأمراء كانوا بهذه الصورة المزرية, بل كان منهم الصادقون والعادلون كالخليفة الظاهر بأمر الله (ت٦٢٣ه)، الذي قال فيه ابن الأثير: (لو قيل: إنه لم يل الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز مثله لكان صادقا). "الكامل في التاريخ" لابن الأثير (٤٠١/١٠-٤٠٣ و٩٥/١٠).

[٦٢]- "مرآة الزمان وعبرة اليقظان" لأبي محمد عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي (٣٨٩/٢٢).

[٦٣]- "نخبة الدهر في عجائب البر والبحر"، أبو عبد الله شمس الدين محمد الأنصاري المعروف بشيخ الربوة, طبع في مدينة بطربورغ في مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية, سنة: ١٨٦٥م, (ص: ٢١١).

[٦٤]- "الكامل في التاريخ" لابن الأثير (١٨١/١٠).

[٦٥]- "مرآة الزمان" لسبط ابن الجوزي (٩٠/٢٢-٩١)، و"الذيل على الروضتين" لأبي شامة (٣١/٥)، و"البداية والنهاية" لابن كثير (٤٦٥/١٤).

[٦٦]- "الكامل في التاريخ" لابن الأثير (٢٠٣/١٠).

فريسة الدجل والانحراف تخلصا من هذه الأوضاع, فانحرفت بذلك الأمة الإسلامية عن عقيدتها الصحيحة.

وكانت كل دولة تشجع أتباعها ومعتقدي مذهبها, وتوثرهم على غيرهم, حتى صار هذا العصر ميدانا للفِرق المختلفة, والأفكار المتضاربة, وكثرة الخلافات والاتجاهات العقدية.

المبحث الرابع: الأوضاع العلمية والثقافية في عصر ابن الصلاح.

يُعد العصر الذي عاش فيه تقي الدين بن الصلاح من العصور المريرة في تاريخ بلاد الإسلام, وخاصة مع الغزو المغولي الغاشم وما صاحبه من تدهور للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية. غير أنَّ الناظر في كتب التاريخ والتراجم يعجب كيف أن ذلك لم يؤثر سلبا في الأوضاع الثقافية والعلمية؟! فقد كان هذا العصر من أزهى العصور في تاريخ العلوم منقولها ومعقولها؛ فقد نشطت الحركة الفكرية, واستوت العلوم على سوقها, وأينعت, ونضجت, وكثرت التصانيف في مختلف العلوم, وكانت للعلماء هيبتهم ومكانتهم عند الخاصة والعامة.

وقد كان للأيوبيين أثرهم الديني الحاسم في المنطقة؛ إذ إنهم حرصوا على توطيد دعائم المذهب السني بعد قضائهم على الدولة الفاطمية العُبيدية, من خلال دعم العلم والعلماء, وبناء العديد من المدارس, التي أضحت تصل إلى ما يزيد عن المائة مدرسة في بعض المدن. وقد ساعدت هذه الإجراءات الأيوبيين في تجنيد الجموع نفسيا لمتابعة الوقوف في وجه الصليبيين.

ولعل أبرز ما شهدته بلاد الشام من بعث علمي بعد صلاح الدين, هو ما توافق مع عهد الملك المعظم عيسى بن محمد العادل[٦٧] (ت ٦٢٤هـ) فقد كان فقيها, عالما بالنحو واللغة والأدب, إلى جانب علوم أخرى؛ لذلك «قصده العلماء من الآفاق, فأكرمهم, وأجرى عليهم الجرايات الوافرة, وقربهم, وكان يُجالسهم ويستفيد منهم ويُفيدهم»[٦٨].

ونتيجة لانتشار المدارس وتكاثر المتخرجين منها؛ قامت حركة علمية واسعة ضمن هذه المنطقة الأيوبية, حتى أصبحت قطب جذب لكثير من العلماء الهاربين من المغول في المشرق, وهكذا تكاتفت جموع العلماء والأدباء والشعراء والأطباء في البلاطات الأيوبية, وازدهرت مراكز جديدة للعلم لم تكن من قبل شيئا مذكورا مثل: القدس[٦٩], وأربيل, ودُنَيْسِر, وحماه, وحران..

فعلى الرغم مما أصاب المسلمين في ذلك العصر من فتن وحروب إلا أن الحركة العلمية لم تتوقف في لحظة من اللحظات, بل إن النبوغ العلمي في كافة التخصصات وخاصة الشرعية منها كاد يكون هو السمة المميزة لذلك العصر عن غيره من العصور. فقد كان رجال الحضارة الإسلامية وبناتها يحاولون التماسك, ويقفون وراء النسيج القوي الذي يجمع العالم

---

[٦٧]- الملك المعظم: هو شرف الدين عيسى بن محمد (الملك العادل) بن أيوب، ولد بالقاهرة سنة ٥٧٦هـ، وتوفي بدمشق سنة ٦٢٤هـ، من سلاطين الأيوبيين بدمشق ما بين سنة ٦١٥ – ٦٢٤هـ، من علماء الملوك، وله عدة مؤلفات في علوم شتى. ينظر: "التكملة لوفيات النقلة" للمنذري (٣/٢١٠).

[٦٨]- "الكامل في التاريخ" لابن الأثير (١٠/٤٢٥).

[٦٩]- مما يلفت النظر، بروز مدينة القدس في الحركة العلمية، على الرغم من عدم مضي زمن طويل على استرجاعها من الصليبين، ولعل ذلك يعود إلى عناية صلاح الدين وخلفائه من بعد بإعادة الوظيفة العلمية والدينية إلى المسجد الأقصى، فقد رتبوا له الأئمة، والخطباء، والمدرسين، ونقلوا إليه العديد من المصاحف، وأوقفوا عليه الأوقاف. وقد وضح هذا الاهتمام، من خلال تزايد أعداد العلماء الذين دَرَّسُوا في مدينة القدس، حتى أصبحت مركز جذب للعلماء، فقد ذكر مجير الدين الحنبلي في "الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل" الجزء الثاني، حَوَالَيْ أربعين وأربعمائة عالم، وقاض، وخطيب، ومؤلف، عاشوا وعملوا فيها منذ استرجاعها على يد صلاح الدين حتى سنة ٥٩٠هـ.

الإسلامي بعضه إلى بعض. فالعلماء ما كانوا يأبهون للحدود السياسية, بل كانوا يخترقونها بسهولة – حتى الأراضي التي كانت محتلة من الصليبيين أو المغول – لينتقلوا ضمن العالم الإسلامي الذي كانوا يعدونه وحدة متكاملة, فالوحدة الدينية كانت هي نقطة الارتكاز, لذلك لم يكونوا يجدون غضاضة أو مانعا من الانتقال من مكة إلى خراسان, ومن الإسكندرية إلى بغداد, ومن فاس إلى القيروان إلى دمشق, ولا أن يلي أحدهم منصبا علميا من الإفتاء أو القضاء أو التدريس حيث يحلو له؛ فيقيم ما شاء الإقامة, أو يرتحل ما شاء الترحال[٧٠].

والمستعرض لكتب التراجم في هذا العصر يجد أنَّ العلماء في مختلف الفنون الإسلامية – الذين عاشوا هذه الحقبة – من أجَلِّ العلماء وأفضلهم, وحسبنا أن نذكر أبا الفرج ابن الجوزي (ت ٥٥٩٧), وعبد الغني المقدسي (ت ٥٦٠٠), والفخر الرازي (ت٥٦٠٦), وأبا محمد الرهاوي (٥٦١٢), وأبا محمد ابن شاش (ت ٥٦١٦), والموفق بن قدامة الحنبلي (ت ٥٦٢٠), وياقوت الحموي (ت ٥٦٢٦), وأبا الحسن ابن الأثير (ت ٥٦٣٠), وسيف الدين الآمدي (ت ٥٦٣١), والضياء المقدسي (ت٥٦٤٣), وأبا عمرو ابن الصلاح (ت٥٦٤٣), وأبا عمرو ابن الحاجب (ت ٥٦٤٦), وعز الدين بن عبد السلام (ت ٥٦٦٠), وغيرهم كثير...

كما برز مجموعة من العلماء في الوظائف الدينية: كالقضاء, والحسبة, والإفتاء, والخطابة... لكن غالبا ما تخصصت بعض البيوتات في نوع محدد من العمل الديني؛ فقد زاول بعضها القضاء, وبعضها الآخر التدريس, وبعضها الاشتغال بالفقه وهكذا. ومن الأمثلة الشاهدة على ذلك أهل بيت ابن الأثير الجزري, وابن خَلكان, وابن تيمية... فبيت ابن خَلكان على سبيل المثال

٧٠- "دول العالم الإسلامي" لشاكر مصطفى (٨٠١/٢).

يُعتبر من البيوتات العلمية العريقة التي اشتهرت في مدينة أربيل وأطرافها؛ لأنه كان مقربا من السلطان مظفر الدين كوكبري[٧١]، فقد ذاع صيتهم في العراق، والشام، ومصر ابتداء من الجد أبي بكر ابن خَلكان (ت ٥٥٢٥) الذي اشتهر بالعلم والأدب، والفقيه أبي حفص نجم الدين عمر بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خَلكان (ت ٥٦٠٩)، وأخيه شهاب الدين محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خَلكان (ت ٥٦١٠) الذي ارتحل إلى عدة أماكن طلبا للعلم، وأصبح معيدا في المدرسة النظامية ببغداد[٧٢]، والقاضي أبي بكر شلبي بن الجنيد بن إبراهيم ابن خلكان (ت ٥٦٥٣)، الذي تولى القضاء بمصر، والمحدث الجهبذ عيسى بن إبراهيم (ت ٥٦٦٥)[٧٣]، والفقيه الشاعر ضياء الدين عيسى (ت ٥٦٣٢)، والقاضي المحدث أبي عبد الله بهاء الدين بن محمد بن إبراهيم (ت ٥٦٨٣)[٧٤]، هذا إلى جانب قاضي القضاة المؤرخ والأديب أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان (ت ٥٦٨١).

ومما لا شك فيه أنّ وجود مثل هذه البيوتات العلمية وغيرها كان له تأثير كبير في المجتمع الإسلامي؛ فلقد كان العلماء هم قادة الجماهير ونخبتهم، فهم وحدهم الذين يملكون حق الإفتاء، والحكم في القضايا الحساسة دون أن ينازعهم منازع.

ويمكن إجمال أهم العوامل التي أسهمت في النهضة العلمية والثقافية والفكرية في هذا العصر في التالي:

---

[٧١]- مظفر الدين كوكبري هو: أبو سعيد مظفر الدين كوكبري بن علي زين الدين بن بكتكين بن محمد (٥٥٤٩-٥٦٣٠)، حاكم أربيل في عهد صلاح الدين الأيوبي. ينظر: "التكملة لوفيات النقلة" للمنذري (٣٥٤/٣).

[٧٢]- "طبقات الشافعية الكبرى" للسبكي (٤٤/٨).

[٧٣]- "علماؤنا في خدمة العلم والدين" لعبد الكريم المدرس (ص: ٢٣١).

[٧٤]- "شذرات الذهب في أخبار من ذهب" لابن العماد (٣٨٤/٥).

أ- *الرغبة في توطيد دعائم الملك*: فقد أدرك السلاطين في بلاد الشام – وغيرها من بلاد المسلمين – مدى تأثير العلماء في المجتمع, مما حدا بهم إلى اتخاذ جميع السبل الممكنة لتوطيد حكمهم وسياستهم, وجمع كلمة الشعب وتوحيد صفه واستمالة الرعية إليهم؛ فاهتموا لذلك بالعلم والعلماء, وعقدوا المجالس الأدبية والحلقات العلمية[٧٥].

ب- *مواجهة الحملات الصليبية والغزو المغولي*: فقد عَرفت تلك المرحلة صراعا بين الغرب الصليبي والشرق الإسلامي من جهة, وزحفا مغوليا من جهة ثانية؛ فكان الداعي إلى الاهتمام بالعلماء حاجة العصر إلى مواجهة الغزو الصليبي والمغولي على بلاد الإسلام, فشجع السلاطين العلماء على الكتابة عن الجهاد, وجمعِ الأحاديث النبوية التي تحث عليه, لإذكاء روح المقاومة والتصدي للعدو, وتعبئة الشعب لتحرير بلاد الإسلام[٧٦].

ج- *طلب العلم*: ولا يمنع ذلك من وجود أسباب ذاتية ترجع إلى رغبة بعض السلاطين في العلم ومحبتهم له, فقد اشتهر سلاطين بني أيوب بحبهم للعلم والعلماء؛ فكان صلاح الدين يجمع حوله رجال العلم, ويَحضُر مجالسهم, ويَستمع إليهم, ويُشاركهم في أبحاثهم[٧٧]. وهي سياسة – ولا شك – أثرت في خلفائه من بعده؛ فالملك الأفضل[٧٨] مثلا (ت ٥٦٢٢) الذي خلف أباه صلاح الدين, قال فيه ابن خلكان (ت ٥٦٨١): (كان الأفضل [...] يحب العلماء ويعظم

---

[٧٥]– "الحياة العلمية في مصر والشام (٥٥٢١-٦٤٨هـ)"، محمد حلمي محمد أحمد، "المجلة التاريخية المصرية"، سنة: ١٩٥٨م، المجلد السابع، (ص: ١٦).

[٧٦]– "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية" لابن شداد (ص: ٥٤).

[٧٧]– "صلاح الدين الأيوبي"، علي محمد الصلابي، دار المعرفة – بيروت، ط: الثانية، سنة: ٢٠٠٨م، (ص: ٢٩٠).

[٧٨]– الملك الأفضل: هو أبو الحسن نور الدين علي بن يوسف صلاح الدين بن أيوب، ولد في مصر سنة ٥٦٦هـ، أحد ملوك الدولة الأيوبية بدمشق، توفي سنة ٦٢٢هـ. "التكملة لوفيات النقلة" للمنذري (١٤٠/٣).

حرمتهم)[٧٩]. والسلطان الكامل[٨٠] (ت ٦٣٥ه) الذي قال فيه المقريزي (ت ٨٤٥ه): (كان يحب أهل العلم, ويؤثر مجالستهم. وعنده شغف بسماع الحديث النبوي [...] وكان يناظر العلماء. وعنده مسائل غريبة من فقه ونَحْوٍ يَمتحِن بها؛ فمن أجاب عنها قدمه وحظي عنده. وكانت عنده بالقلعة جماعة من أهل العلم [...] فينصب لهم أَسِرَّة ينامون عليها بجانب سريره؛ ليسامروه)[٨١]. ومثل هذا يُقال في أغلب سلاطين الدولة الأيوبية.

د- *نشر المذهب السني*: كما يمكن القول: إن هذه السياسة من قِبل سلاطين بني أيوب كانت تهدف بالأساس إلى نشر المذهب السني, والتخلص من المذهب الشيعي الذي انتشر في الشام ومصر تحت سيادة الفاطميين؛ فكان لا بد أن يكون ذلك بسلاح العلم؛ فقد قام صلاح الدين بتحويل المدارس الشيعية إلى مدارس سنية[٨٢].

ه *بناء المدارس وتشيدها*: من المظاهر البارزة لهذا العصر حِرص السلاطين والحكام على بناء المدارس والتنافس في ذلك؛ فإذا ما ألقينا نظرة متفحصة في كتاب "الدارس في تاريخ المدارس" لعبد القادر النعيمي, سنجد أنَّ مدينة دمشق وحدها خلال القرن السابع الهجري كان فيها ما يزيد عن خمسين ومائة مدرسة, دَرَّس فيها ما يزيد عن ألف من كبار العلماء المشاهير, «ولم يقتصر اهتمام الهيئة الحاكمة, ومن اتصل بها بحركة الإحياء العلمي على مجرد إنشاء المدارس, وإنّما كانوا يختارون لها أفضل الأساتذة وأتقاهم وأكثرهم قَبُولا لدى

---

[٧٩]- "وفيات الأعيان" لابن خلكان (٤٢٠/٣).

[٨٠]- الملك الكامل: أبو المعالي ناصر الدين محمد بن الملك العادل محمد أبي بكر بن أيوب بن شاذي، (٥٧٦-٦٣٥هـ). "التكملة لوفيات النقلة" للمنذري (٤٨٥/٣).

[٨١]- "السلوك لمعرفة دول الملوك" للمقريزي (٣٨٠/١).

[٨٢]- "اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء" للمقريزي (٣١٩/٣).

المتعلمين عامة»[٨٣]. فقد عَهِدَ الكامل محمد بن أحمد بن أيوب (ت٦٣٥ه) إلى أخيه الملك الأشرف ببناء دار الحديث الأشرفية المجاورة لقلعة دمشق، وأمده بها العلامة ابن الصلاح بالحديث، وذلك في ليلة النصف من شعبان عام ٦٣٠ه، ووقف عليها الأشرف الأوقاف[٨٤]، بل كانت بعض المدارس تُنشأ خاصة لعالم بعينه، اشتهر بعلمه أو بمكانته بين الناس[٨٥]؛ فقد أنشأ ناصر الدين قَيْمُري[٨٦] مدرسة خاصة للقاضي شمس الدين علي بن محمود الشهرزوري، وقرر عند إنشائها أن يتولى شؤونها بعد وفاة القاضي شمس الدين أولاده وذريته، وكان ذلك في أوائل القرن السابع[٨٧]. وقد ذكر الرحالة أبو الحسين بن جبير الأندلسي (ت ٦١٤ه) الذي زار دمشق سنة ٥٨٠ه أنه كان فيها نحو عشرين مدرسة تقوم بالإنفاق على من يدخل فيها للتعلم والاستفادة[٨٨].

كما تميز هذا العصر بتشييد المدارس الخاصة بالحديث لأول مرة في تاريخ الحضارة الإسلامية؛ فأنشئت أول مدرسة للحديث في دمشق تحقيقا لرغبة أبي القاسم نور الدين محمود زَنكي[٨٩]

---

[٨٣]– "الحياة العلمية في مصر والشام (٥٢١هـ-٦٤٨هـ)" لمحمد حلمي محمد أحمد (ص: ١٢).

[٨٤]– ينظر: "روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية" لراغب السرجاني (ص: ١١٢).

[٨٥]– "الحياة العلمية في مصر والشام (٥٢١هـ-٦٤٨هـ)" لمحمد حلمي محمد أحمد (ص: ١٢).

[٨٦]– ناصر الدين القَيْمُري: أبو المعالي الحسين بن عبد العزيز بن أبي الفوارس القيمري، باني المدرسة القيمرية في دمشق. وهو الذي مَلَّكَ الناصر دمشق، توفي سنة ٦٦٥هـ. "الوافي بالوفيات" للصفدي (٢٦١/١٢).

[٨٧]– "الدارس في تاريخ المدارس" للنعيمي (٣٣٥/١-٣٣٧).

[٨٨]– "رحلة ابن جبير"، أبو الحسين بن جبير الأندلسي (ت ٦١٤هـ)، دار صادر – بيروت، (ص: ٢٥٥).

[٨٩]– نور الدين زَنكي: هو أبو القاسم نور الدين محمود بن عماد الدين زَنكي بن آق سُنقُر ولد سنة ٥١١هـ، وتوفي سنة ٥٦٩هـ. يُلقَّب بالملك العادل. حكم حلب بعد وفاة والده، وقام بتوسيع إمارته بشكل تدريجي، عُرف بجهاده الصليبيين. "مرآة الزمان" لسبط ابن الجوزي (٢٠٣/٢١).

(ت ٥٦٩ه), وحملت اسم المدرسة النورية[٩٠].

ومع إنشاء المدارس كان لا بد من العناية بالأوقاف التي يُصرف إيرادها في إدارة المدرسة, وفي دفع رواتب المدرسين والمعيدين, وفي حاجات الطلاب, ومما يدل على وفرة الأوقاف على المدارس ما ذكره ابن جبير (ت ٥٦١٤) في كلامه عن مشاهد دمشق, فيقول: (ولكل مشهد من هذه المشاهد أوقاف معينة من بساتين وأرض بيضاء ورباع, حتى إنّ البلد تكاد الأوقاف تستغرق جميع ما فيه, وكل مسجد يُستحدث بناؤه أو مدرسة أو خانقة يُعين السلطان أوقافا تقوم بها, وبساكنيها, والملتزمين لها؛ وهذه أيضا من المفاخر المخلدة. ومن النساء الخواتين ذوات الأقدار من تأمر ببناء مسجد, أو رباط, أو مدرسة, وتُنفق فيها الأموال الواسعة وتعين لها من مالها الأوقاف. ومن الأمراء من يفعل مثل ذلك, لهم في هذه الطريقة المباركة مسارعة مشكورة عند الله عز وجل)[٩١].

وعلى الرغم من وجود هذه الحركة العلمية النشيطة في هذين القرنين, إلا أنَّ الهمم ضعفت عن الاجتهاد, ومالت إلى التقليد, وشهد هذان القرنان قلة في المجتهدين, وجمودا في المقلدين. وكان شغل العلماء مقتصرا على شرح المتون, وتوضيح المختصرات, وتفهيم الألفاظ المغلقات, ولم يوجه العلماءُ هممهم لفهم الأدلة واستنباط الأحكام إلا قليلٌ منهم[٩٢]. ولا أدل على ذلك من وصف أبي عمرو ابن الصلاح في مقدمة كتابه

٩٠- "التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية" لابن الأثير (ص: ١٧٢)، و"خطط الشام" لمحمد كرد علي (٦/٧١).

٩١- "رحلة ابن جبير" (ص: ٢٤٨). وللاستزادة من أخبار الأوقاف في العصر الأيوبي ينظر: "روائع الأوقاف" لراغب السرجاني (ص: ١٠٨-١٢٠).

٩٢- "الفتح المبين في طبقات الأصوليين" لعبد الله مصطفى المراغي (٢/٣-٤ و ٢/٤٤-٤٦) عند حديثه عن الحالة العلمية في القرنين السادس والسابع.

"معرفة أنواع علم الحديث" حال طلبة علم الحديث في زمانه بالركود العلمي، والجهل الكبير بمسائل العلم؛ فقد وصل الحال في زمنه إلى أنَّ السائل عن مسألة من مسائل هذا العلم، لا يجد من يجيبه عن مسألته[٩٣].

ولعلَّ هذا ما دفعه إلى إبداء تشككه في صلاحية المتأخرين بنقد الأحاديث، وتمييز مقبولها من مردودها، والتكلم في عللها، فضلا عن الاحتجاج بأحكامهم في صحتها وحسنها[٩٤].

خلاصة الفصل:

منذ نهاية القرن السادس الهجري تعرض المشرق الإسلامي لزحف مغولي دمر البلاد وأخضعها لسيطرته، وخرب المراكز العلمية، وحرق الكتب، ناهيك عن هجمات الخوارزميين التعسفية. مما كان له أكبر الأثر على الأوضاع الاقتصادية؛ فتدهورت أوضاع العامة، وسادت فترات من الغلاء المميت في بعض المناطق، إلى جانب انتشار الأوبئة نتيجة لتفشي الحروب والقتل الشديد. أما من الناحية الاجتماعية فلم يكن الوضع بأحسن حالا؛ فقد كثر الظلم والزور، وكثرت اللصوصية، وانتشرت المفاسد، وكثر عدد الفقراء والمحتاجين.

مما دفع بالعلماء إلى المشاركة من موقعهم في التصدي لهذه الاختلالات والأخطار عن طريق بناء صرح علمي وثقافي؛ فالأوضاع العلمية كانت على درجة كبيرة من الازدهار؛ فنجد أسماء

٩٣- وأسوق هنا جزءا صغيرا من مقدمة كتابه، والذي يتعلق بوصف الحال التي آل إليها علم الحديث في زمانه، فقال: (أهله [أي: علم الحديث] إنما هم شرذمة قليلة العَدد، ضعيفة العُدد. لا تُعنى على الأغلب في تحمله بأكثر من سماعه غُفْلا، ولا تتعنى في تقييده بأكثر من كتابته عُطلا، مُطرحين علومه التي بها جَلَّ قدره، مباعدين معارفه التي بها فخَّم أمره. فحين كاد الباحث عن مشكله لا يُلفي له كاشفا، والسائل عن علمه لا يلقى به عارفا، من الله الكريم تبارك وتعالى عليَّ، وله الحمد أجمع، بكتاب "معرفة أنواع علم الحديث"). "علوم الحديث" لابن الصلاح (ص: ٦).

٩٤- ينظر: "منهج النقد في علوم الحديث" لنور الدين عتر (ص: ٢٨٠-٢٨١). وأسوق هنا جزءا من كلام ابن الصلاح في ذلك، حيث قال: (إذا وجدنا فيما يُروى من أجزاء الحديث وغيرها حديثا صحيح الإسناد، ولم نجده في أحد الصحيحين، ولا منصوصا على صحته في شيء من مصنفات أئمة الحديث المعتمدة المشهورة، فإنا لا نتجاسر على جزم الحكم بصحته؛ فقد تعذر في هذه الأعصار الاستقلال بإدراك الصحيح بمجرد اعتبار الأسانيد). "علوم الحديث" لابن الصلاح (ص: ١٦-١٧).

لعلماء بارزين قد أسهموا بشكل كبير في جميع المجالات الفكرية. ونستطيع أن نقول: إنّ هذا العصر كان عصر نضج علمي في شتى العلوم.

الفصل الثاني: ترجمة أبي عمرو ابن الصلاح.

المبحث الأول: ابن الصلاح: اسمه, ونسبه, ومولده[٩٥].

لم يختلف كل من ترجموا لابن الصلاح في اسمه, ولا في اسم أبيه, ولا في اسم جده, بل ولا في أسماء أجداده الأعلين, إلا أنَّ بعضهم يقتصر على ذكر اسم جده الأدنى, مع ذكر كنيته ولقبه, ويضيف آخرون إلى ذلك اسم جده الثاني أو الثالث. وبجانب ذلك يَذكر بعضهم نسبته إلى القوم الذين ينتمي إليهم, أو البلد الذي وُلد فيه أو رحل إليه طالبا للعلم أو أقام فيه وسكنه, كما أن بعضهم ينسبه إلى المذهب الفقهي الذي ينتمي إليه.

ومن هنا أقول هو: أبو عمرو تقي الدين عثمان بن أبي القاسم صلاحِ الدين عبد الرحمن ابنِ عثمانَ بنِ موسى بنِ أبي نصر, الكُردي[٩٦], النَّصْرِي[٩٧], الشَّرَخَاني[٩٨] المولد, الشهْرُزُورِي[٩٩] الأصل,

---

[٩٥]- تُنظر ترجمته في: "مرآة الزمان" لسبط ابن الجوزي (٣٩٣/٢٢)، و"وفيات الأعيان" لابن خلكان (٢٤٣/٣)، و"ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة" لابن رُشيد (٢١٧/٣)، و"طبقات علماء الحديث" لابن عبد الهادي (٢١٤/٤)، و"سير أعلام النبلاء" للذهبي (١٤٠/٢٣)، و"تاريخ الإسلام" للذهبي (٤٥٥/١٤) (رقم الترجمة: ٢١٧)، و"تذكرة الحفاظ" للذهبي (١٤٩/٤)، و"العبر في خبر من غبر" للذهبي (١٧٧/٥)، و"البداية والنهاية" لابن كثير (٢٥٢/١٥)، و"طبقات الشافعية" لابن كثير (ص: ٧٨٢)، و"الوافي بالوفيات" للصفدي (٢٦/٢٠)، و"مرآة الجنان" لليافعي (٨٤/٤)، و"طبقات الشافعية الكبرى" للسبكي (٣٢٦/٨)، و"طبقات الشافعية" للأسنوي (٤١/٢)، و"ذيل التقييد" للتقي الفاسي (١١٠/٣)، و"تاريخ علماء بغداد" للسلامي (ص: ١٠٤)، و"طبقات الشافعية" لابن قاضي شهبة (١٤٢/٢)، و"النجوم الزاهرة" لابن تغري بردي (٣٥٤/٦)، و"طبقات الحفاظ" للسيوطي (ص: ٥٠٣)، و"الأنس الجليل" لمجير الدين الحنبلي (١٨١/٢)، و"طبقات المفسرين" للداوودي (٣٨٢/١)، و"الدارس في تاريخ المدارس" للنعيمي (١٦/١)، و"طبقات الشافعية" لابن هداية الله (ص: ٢٢٠)، و"شذرات الذهب" لابن العماد (٣٨٣/٧)، و"الفتح المبين في طبقات الأصوليين" للمراغي (٦٣/٢)، و"الأعلام" للزركلي (٢٠٧/٤)، و"معجم الأصوليين" لمحمد مظهر (١٦٥/٣).

[٩٦]- الكُرْدِي هذه النسبة إلى طائفة بالعراق ينزلون بالصحاري، وقد سكن بعضهم القرى، خصوصا في جبال حُلوان، يقال لهم: الأكراد. ينظر: "الأنساب" للسمعاني (٣٩٤/١٠)، و"اللباب في تهذيب الأنساب" لابن الأثير (٩٢/٣). وقد وردت عدة نظريات عن أصل هذا الشعب، ولا يزال النقاش دائرا بين علماء الإثنوغرافيا حول أصلهم، وتتباين وتتشابه هذه النظريات من قديمها وحديثها، من منشأ أسطوري، إلى منشأ تاريخي عربي أو أعجمي. وللمزيد من التفصيل ينظر: "تاريخ الأكراد"، محمد سهيل طقّوس، دار النفائس – بيروت، ط: الأولى، سنة: ٢٠١٥م، (ص: ١٤-٢٦).

الموصلي النشأة، الدمشقي الدار والوفاة، الشافعي المذهب[١٠٠]. المعروف بابن الصلاح، نسبة إلى لقب والده صلاح الدين.

وقد اتفق كُل من ترجم له على أنَّ مولده كان سنة ٥٧٧هـ[١٠١]، إلا أنَّ بعضهم اقتصر على ذكر التاريخ فقط، في حين ذكر آخرون مكان الولادة. لكن اختلفوا في تحديده؛ فبعض المؤرخين على أنه وُلِد في مدينة "شَهْرُزُور"[١٠٢]. وانفرد ابن خَلّكان (ت ٦٨١هـ) بالقول: إنَّ مولده كان في "شَرَخَان"[١٠٣]، وكلامه مقدم – في نظري – على غيره لثلاثة أسباب:

- الأول: أنه تلميذ ابن الصلاح وعصريه، فهو أدرى بأحوال شيخه من غيره.

- الثاني: أنه من أصل كردي؛ فهو أدرى ببلاد الأكراد من غيره.

---

[٩٧]- النَّصْري: نسبة إلى جدِّه "أبي نصر". "وفيات الأعيان" لابن خلكان (٢٤٥/٣).

[٩٨]- الشَّرَخَاني: نسبة إلى شَرَخَان – بفتح الشين المعجمة والراء المهملة والخاء المعجمة – قرية من قرى شهرزور. "وفيات الأعيان" لابن خلكان (٢٤٥/٣).

[٩٩]- الشَّهْرُزُوري: نسبة إلى شَهْرُزُور – بفتح الشين المعجمة وسكون الهاء وضم الراء والزاي وسكون الواو وفي آخرها راء مهملة – وهي بلدة واسعة من أعمال إربل (تُلفظ أربيل حاليا، تقع شمال العراق)، تقع بين الموصل وهمذان، تنسب إلى بانيها "زور بن الضحاك"، فقيل: شهرزور، أي: مدينة زور، وأهلها كلهم أكراد. ينظر: "الأنساب" للسمعاني (٤١٧/٧)، و"اللباب في تهذيب الأنساب" لابن الأثير (٢١٦/٢)، و"وفيات الأعيان" لابن خلكان (٧٠/٤)، و"طبقات الشافعية" للأسنوي (١٩/٢)، و"موسوعة المدن والمواقع في العراق" لبشير يوسف (٦٢٥/٢-٦٣٢)، و"إعجام الأعلام" لمحمد مصطفى (ص: ٢٢٥). ووقع ضبطها في "معجم البلدان" لياقوت الحموي (٤٢٥/٣)، براء مفتوحة؛ شَهْرَزُور. وتابعه صفي الدين البغدادي في "مراصد الاطلاع" (٨٢٢/٢). وجاء في موسوعة "حضارة العراق"، "المبحث الثالث: المدينة العراقية"، لعماد عبد السلام رؤوف (١٦٧/١٠): أنها مدينة اندثرت نتيجة الحروب التي كانت بين العثمانيين والفرس، فلم يعد من الممكن تعيين موقعها الآن، فلم يتبق سوى اسمها الذي صار يُطلق على الإقليم فحسب.

[١٠٠]- ظل ابن الصلاح طيلة حياته متبعا لمذهب الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، بل نص في كتابه "أدب المفتي والمستفتي" (ص: ١٦٣-١٦٤) على أنه أولى المذاهب بالاتباع والتقليد؛ فقد أتيح لإمامه ما لم يُتح لغيره من الأئمة قبله، حيث تأخر عنهم، ونظر في مذاهبهم نحو نظرهم في مذاهب من قبلهم، فسبرها وخبرها وانتقدها، واختار أرجحها. ولكنه مع هذا لم يتعصب للشافعي، ولم يقدح في سواه من الأئمة، وإنما أنصف الجميع، وأثنى عليهم.

[١٠١]- أغرب السلامي في "تاريخ علماء بغداد" (ص: ١٠٦) فذكر أنَّ ابن الصلاح سئل عن مولده فقال: (سنة ٥٥٧هـ).

[١٠٢]- ينظر: "ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة" لابن رُشيد (٢١٨/٣)، و"تاريخ علماء بغداد" للسلامي (ص: ١٠٦)، و"طبقات الشافعية" لابن قاضي شهبة (١٤٣/٢)، و"الأنس الجليل" للنعيمي (١٨١/٢).

[١٠٣]- "وفيات الأعيان" لابن خلكان (٢٤٤/٣)، وتابعه طاش كبري زاده في "مفتاح السعادة" (٥٣/٢)، والمراغي في "طبقات الأصوليين" (٦٣/٢)، والزِّركلي في "الأعلام" (٢٠٧/٤).

- الثالث: أنَّ شَرَخَان قرية تابعة إلى شَهْرُزُور؛ فمن نَسَبَ إلى شَرَخَان فقد دقق، ومن نَسَبَ إلى شَهْرُزُور فقد اكتفى بذكر القُطر الأعم، والله أعلم.

المبحث الثاني: ابن الصلاح: بيته، ونشأته، وطلبه للعلم، ورحلاته.

لم توفّر المصادر التي وقفتُ عليها مادة علمية كافية عن أهل بيت ابن الصلاح، بل قصارى ما تم ذِكره: مكانته العلمية؛ فقد كان «شيخ بلاده»[١٠٤].

فيكون من المفيد التعرض لترجمة موجزة لوالده[١٠٥] فأقول: كان مولده سنة ٥٥٣٩، تقديرا؛ لأنه كان لا يتحققه[١٠٦]، وطلب الفقه وبرع فيه، حتى «كان من جلة مشايخ الأكراد المشار إليهم»[١٠٧]، ومن ثَمَّ تقلبت به صروف الدهر ما بين موطنه والموصل[١٠٨]، حتى استقر به الأمر في حلب، مدرسا في المدرسة الأسدية[١٠٩]، وبقي بها حتى تُوفِّي عام ٥٦١٨.

---

[١٠٤]- "طبقات الشافعية" للأسنوي (٤١/٢).

[١٠٥]- تُنظر ترجمته في: "وفيات الأعيان" لابن خلكان (٢٤٤/٣-٢٤٥)، و"الذيل على طبقات الشافعية" للنووي (ص: ٧٧١)، و"تاريخ الإسلام" للذهبي (٥٤٤/١٣-٥٤٥)، و"سير أعلام النبلاء" للذهبي (١٤٨/٢٢)، و"الوافي بالوفيات" للصفدي (١٠٩/١٨)، و"طبقات الشافعية الكبرى" للسبكي (١٧٥/٨)، و"طبقات الشافعية" للأسنوي (٤١/٢)، و"العقد المذهب في طبقات حملة المذهب" لابن الملقن (ص: ٣٤٩)، و"طبقات الشافعية" لابن قاضي شهبة (٦٦/٢).

[١٠٦]- "وفيات الأعيان" لابن خلكان (٢٤٤/٣-٢٤٥).

[١٠٧]- نفسه (٢٤٣/٣).

[١٠٨]- ينظر: "وفيات الأعيان" لابن خلكان (٢٤٣/٣)، و"تاريخ الإسلام" للذهبي (٤٥٥/١٤)، و"طبقات الشافعية" لابن قاضي شهبة (١٤٣/٢)، و"الدارس في تاريخ المدارس" للنعيمي (١٦/١).

[١٠٩]- المدرسة الأسدية منسوبة إلى بانيها الملك المنصور أبي الحارث أسد الدين شيركوه بن شاذي بن مروان، عم السلطان صلاح الدين (ت ٥٦٤ه). لم يبقَ منها اليوم سوى قِبلتها وقبة. وكان قد رُمّم فيها ثماني حجرات سنة ٥١٣١٦. ينظر: "وفيات الأعيان" لابن خلكان (٢٤٣/٣)، و"الدارس في تاريخ المدارس" للنعيمي (١١٤/١)، و"منادمة الأطلال" لعبد القادر بدران (ص: ٧٩-٨٠).

ولقد أحسن الوالد العناية بولده منذ نعومة أظافره؛ فنشَّأه على محبة العلم والعلماء، وكان أوّل مشايخه وأبرزهم، ولقَّنه الفقه الشافعي، حتى إنَّ ابن الصلاح كرر قراءة كتاب "المهذب"[١١٠] على والده أكثر من مرة ولم يَطرَّ[١١١] شاربه بعد[١١٢].

والذي يبدو من ذلك: أنَّ الوالد اكتفى بإعطاء ولده مبادئ العلوم الأولية، وترك له حرية اختيار دروسه؛ فلم يهمل الوَلَدُ تنويع مصادر معرفته، فطلب العلم على مشايخ بلده أولا، والذين كان أغلبهم من الأكراد. ثم سافر به والده إلى مدينة الموصل[١١٣]، ولم يطل المقام به كثيرا فيها[١١٤]، فما هو إلاَّ أن اشتدَّ عوده وقوي على تحمّل أعباء الحياة، وأحسَّ أن الرحلة سُنَّةُ من يطلب الحديث، ويبحث عن علو الإسناد، حتى يمَّم وجهه صوب قبلة العلم والعلماء عاصمة الخلافة: بغداد، وله بضع وعشرون سنة[١١٥]. ثُمَّ شدَّ رحله بعد ذلك إلى بلاد العجم، فأجاب داعي العلم في خراسان؛ فدخل نيسابور، ومرو، وهَمْدان...

---

[١١٠]- "المهذب في فقه الإمام الشافعي" مختصر ألفه أبو إسحاق إبراهيم بن علي الفيروزآبادي الشيرازي (ت ٤٧٦هـ). من أشهر شروحه "المجموع شرح المهذب" لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) لكنه لم يتمه، وقد أكمل شرحه بعد النووي عالمان هما: أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٥٦هـ)، ثم محمد نجيب المطيعي (ت ١٤٠٦هـ).

[١١١]- جاء في "لسان العرب" لابن منظور (٤٩٩/٤): (طَرَّ النبتُ والشاربُ والوَبر يَطُرُّ، بالضَّمِّ، طَرّا وطُرُورا: طلَع ونبَت؛ وكَذَلِكَ شعرُ الوَحشِيِّ إذا نَسَلَه ثُم نَبَتَ؛ ومنه طَرَّ شاربُ الغلامِ فَهُوَ طارٌّ). فمعنى لم يطر شاربه، أي: لم ينبت شاربه.

[١١٢]- "وفيات الأعيان" لابن خلكان (٢٤٣/٣).

[١١٣]- ينظر: "وفيات الأعيان" لابن خلكان (٢٤٣/٣)، و"تاريخ الإسلام" للذهبي (٤٥٥/١٤)، و"طبقات الشافعية" لابن قاضي شهبة (١٤٣/٢)، و"الدارس في تاريخ المدارس" للنعيمي (١٦/١).

[١١٤]- "وفيات الأعيان" لابن خلكان (٢٤٤/٣)، و"مرآة الجنان" لسبط ابن الجوزي (٨٥/٤).

[١١٥]- "تاريخ الإسلام" للذهبي (٤٥٥/١٤)، و"تاريخ علماء بغداد" للسلامي (ص: ١٠٦).

وبعد أن سمع وحصَّل الكثير بالموصل، وبغداد، ودُنَيْسَر[١١٦]، ونيسابور، ومرو، وهمْدان، ودمشق، وحران، واستحصد علمه، وتأهّل لأن يكون إماما مشارا إليه، عاد أدراجه بعد رحلة طويلة جال فيها أهم مراكز العلم في بلاد المشرق الإسلامي، مستقرا ببلاد الشام، حيث بدأت المرحلة الخصبة من حياته في التدريس والتأليف والفتيا؛ فدخل دمشق حوالي سنة ٦١٣هـ[١١٧]، وقد ناهز السادسة والثلاثين من عمره. ثُمَّ قصد القدس فأقام بها مدة يسيرة، ودرَّس في المدرسة الصلاحية، وتسمى أيضا الناصرية[١١٨].

ثُمَّ لما أمر الملك المعظم بن العادل بهدم أسوار القدس[١١٩]، نزح إلى دمشق مستقرا بها[١٢٠].

هذا، ولا يفوتني أن أذكر أنَّ ابن الصلاح قصد مكة لأداء مناسك الحج سنة ٦٢٨هـ، قال ابن كثير: (وحج الناس في هذه السنة من الشام، وكان ممن حج فيها الشيخ تقي الدين أبو عمرو ابن

---

[١١٦]- دُنَيْسَر: بضم الدال المهملة وفتح النون وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح السين المهملة وبعدها راء، بلدة عظيمة من نواحي الجزيرة الفراتية، وتدعى: قوج حصار، وهو لفظ مركب أصله: "دنيا سر"، ومعناه: رأس الدنيا. ينظر: "معجم البلدان" لياقوت الحموي (٥٤٤/٢)، و"مراصد الاطلاع" لصفي الدين البغدادي (٥٣٨/٢). وترجمها أبو عبد الله الحميري (ت ٥٩٠هـ) في "الروض المعطار في خبر الأقطار" (ص: ٢٥٠) بالصاد، فقال: (دنيصر).

[١١٧]- "سير أعلام النبلاء" للذهبي (١٤٢/٢٣).

[١١٨]- تُنسب إلى بانيها الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي، كما أفاد ذلك ابن خلكان في "وفيات الأعيان" (٢٤٤/٣)، واليافعي في "مرآة الجنان" (٨٥/٤)، وابن العماد في "شذرات الذهب" (٣٨٤/٧). وسماها ابن خلكان، واليافعي، وابن العماد: الناصرية. وجاء اسمها في "البداية والنهاية" لابن كثير (٢٥٢/١٥)، و"طبقات الشافعية" له أيضا (ص: ٧٨٢)، و"تاريخ الإسلام" (٤٥٥/١٤)، و"سير أعلام النبلاء" (١٤١/٢٣)، و"تذكرة الحفاظ" ثلاثتها للذهبي (١٤٩/٤)، و"طبقات الشافعية الكبرى" للسبكي (٣٢٧/٨)، و"طبقات الشافعية" لابن قاضي شهبة (١٤٣/٢)، و"طبقات الحفاظ" للسيوطي (ص ٥٠٣)، و"الأنس الجليل" لمجير الدين الحنبلي (١٨١/٢)، و"طبقات المفسرين" للداودي (٣٨٣/١)، و"الدارس في تاريخ المدارس" للنعيمي (١٦/١): الصلاحية.

[١١٩]- "طبقات الشافعية" لابن كثير (ص: ٧٨٢)، "وطبقات علماء الحديث" لابن عبد الهادي (٢١٥/٤)، و"سير أعلام النبلاء" للذهبي (١٤١/٢٣)، و"تذكرة الحفاظ" للذهبي (١٤٩/٤)، و"تاريخ الإسلام" للذهبي (٤٥٥/١٤)، و"طبقات الشافعية" لابن قاضي شهبة (١٤٣/٢)، و"الأنس الجليل" لمجير الدين الحنبلي (١٨١/٢). وكان ذلك في أول سنة ٦١٦هـ، حيث خرّب الملك المعظم سور بيت المقدس خوفا أن يتملكه الصليبيون، وعجزا عن مواجهتهم.

[١٢٠]- "طبقات الشافعية الكبرى" للسبكي (٣٢٧/٨)، و"طبقات الشافعية" لابن هداية (ص: ٢٢١).

الصلاح، ثم لم يحج الناس بعد هذه السنة أيضا لكثرة الحروب والخوف من التتار والفِرنج)[١٣١].

ولعله اجتمع بعلمائها وأخذ عنهم فقد «كان للحرم المكي الجَمالُ، بأفراد مُنْتَدَبِينَ للعلم والتصنيف، من أهله والواردين عليه، في سائر المذاهب، وغالب الفنون، بحيث كان حقيقا بالارتحال إليه لذلك، فضلا عن كونه محلا للنسك»[١٣٢].

المبحث الثالث: شيوخ ابن الصلاح وأساتيذه.

حرص ابن الصلاح على طلب العلم والسماع على علماء عصره في البلدان التي رحل إليها على جري عادة علماء الإسلام؛ فرحل في سبيل ذلك إلى كثير من الأقطار، فبعد «إقامته بالموصل دَخَلَ بغداد، وطاف البلاد، وسمع من خلق كثير، وجمٍّ غفير ببغداد، وهَمْدان، ونيسابور، ومرو، وحران، وغير ذلك، ودخل الشام مرتين»[١٣٣].

لذا ارتأيت أذكرهم على حسب بلدانهم التي سَمِعَ منهم فيها:

أ. *شهرزور*:

١- والده أبو القاسم صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان الشهرُزُوري الكردي (ت ٥٦١٨). أخذ عنه الفقه[١٣٤].

ب. *الموصل*:

---

[١٣١]- "البداية والنهاية" لابن كثير (١٥/١٧٨ - حوادث سنة ٥٦٢٨).

[١٣٢]- "الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التوريخ" للسخاوي (ص: ٤٥٠).

[١٣٣]- "مرآة الجنان" لليافعي (٤/٨٥– ٨٦)، وينظر: "طبقات الشافعية" لابن كثير (ص: ٧٨٢)، و"طبقات الشافعية" لابن قاضي شهبة (٢/١٤٣)، و"الدارس في تاريخ المدارس" للنعيمي (١/١٦).

[١٣٤]- "وفيات الأعيان" لابن خلكان (٣/٢٤٣).

٢- ابن السَّمِيـن: هو أبو جعفر عبيد الله بن أحمد بن علي البغدادي الوراق الحنبلي المقرئ، (ت ٥٨٨هـ)[١٢٥]. سمع مـنـه الحديث، وهو أقدم شيخ له[١٢٦] بعد والده.

٣- ابن حَبَـن: هو أبو المعالي نصر الله بن سلامة بن سالم الهِيتـي، (ت ٥٥٩٨)[١٢٧]

٤- ابن البـرنِي: هو أبو المـنصور المظفر بن إبـراهيم بن محمد بن علي الحربي، (ت ٥٦٠٧)[١٢٨].

٥- ابن مـنعة: هو أبو حامد عماد الديـن محمد بن يونس بن محمد بن مـنعة الإربلي، ثُمَّ الموصلي، الشافعي، (ت ٥٦٠٨)[١٢٩]. أقام ابن الصلاح زمـنا في الموصل يشتغل معيدا[١٣٠] لشيخه ابن منعة في المدرسة النظامية[١٣١].

٦- ابن الطُّوسـي: هو أبو القاسم عبد المحسن بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد القاهر الموصلي، (ت ٥٦٢٣)[١٣٢].

---

[١٢٥]– تُنظر ترجمته في "التكملة لوفيات النقلة" للمنذري (١/١٧٥).

[١٢٦]– "طبقات الشافعية الكبرى" للسبكي (٨/٣٢٦)، "تاريخ علماء بغداد" للسلامي (ص: ١٠٥).

[١٢٧]– تُنظر ترجمته في "التكملة لوفيات النقلة" للمنذري (١/٤٢٨).

[١٢٨]– تُنظر ترجمته في "التكملة لوفيات النقلة" للمنذري (٢/٢١٢-٢١٣).

[١٢٩]– تُنظر ترجمته في "التكملة لوفيات النقلة" للمنذري (٢/٢٢٦).

[١٣٠]– المُعِيدُ: من يتولَّى إعادة شرح ما غمض من شرح الأُستاذ للطلبة. ينظر: "معيد النعم ومبيد النقم" لتاج الدين السبكي (ص:٨٥)، و"تذكرة السامع والمتكلم" لابن جماعة (ص: ١٣٩). إنَّ مهنة المعيد ليست بشيء جديد؛ فقد سبق إليها المسلمون – في مدارسهم – التربيَّة الحديثة، بل على العكس فقد كان حال المعيدين وشروطهم في التاريخ الإسلامي أفضل مما هو عليه الآن: إعدادا، ودراية، وأمانة علمية، ومكانة إدارية.

[١٣١]– ينظر: "وفيات الأعيان" لابن خلكان (٣/٢٤٣).

[١٣٢]– تُنظر ترجمته في "التكملة لوفيات النقلة" للمنذري (٣/١٤١).

٧- الكمال بن يونس: هو أبو الفتح كمال الدين موسى بن محمد بن يونس بن محمد بن منعة, (ت ٦٣٩هـ)[١٣٣].

ج. *بغداد*:

٨- ابن سُكينة: هو أبو أحمد ضياء الدين عبد الوهاب بن علي بن عبيد الله الشافعي, «يعرف بابن سُكَينة وهي أم أبيه»[١٣٤] (ت ٦٠٧هـ)[١٣٥].

٩- ابن طَبرزد: هو أبو حفص عمر بن محمد بن مُعَمَّر بن أحمد بن يحيى البغدادي الدارقزِّي المؤدب, (ت ٦٠٧هـ)[١٣٦].

د. *دنيسر*:

١٠- الخباز: هو أبو محمد إسماعيل بن إبراهيم بن فارس بن مقلد السِّيبِي الخَبَّاز, (ت ٦١٤هـ)[١٣٧].

ه. *هَمْدان*:

١١- ابن المُعَزِّم: هو أبو الفضل عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن صالح بن محمد الهمْداني الفقيه, (ت ٦٠٩هـ)[١٣٨].

و. *نيسابور*:

١٣٣- تُنظر ترجمته في "وفيات الأعيان" لابن خلكان (٣١١/٥).

١٣٤- "علوم الحديث" لابن الصلاح (ص: ٣١٧).

١٣٥- تُنظر ترجمته في "التكملة لوفيات النقلة" للمنذري (٢٠١/٢-٢٠٢).

١٣٦- تُنظر ترجمته في "التكملة لوفيات النقلة" للمنذري (٢٠٧/٢-٢٠٨).

١٣٧- تُنظر ترجمته في "التكملة لوفيات النقلة" للمنذري (٤١١/٢).

١٣٨- تُنظر ترجمته في "التكملة لوفيات النقلة" للمنذري (٢٤٦/٢-٢٤٧).

١٢- الفراوي: أبو القاسم[١٣٩] منصور بن عبد المنعم بن عبد الله بن محمد بن الفضل بن أحمد ابن محمد بن أحمد الصاعدي الفُرَاوي ثُمَّ النيسابوري، (ت ٦٠٨هـ)[١٤٠].

١٣- زينب الشعرية: هي أم المؤيد زينب، وتدعى حُرَّة بنت أبي القاسم عبد الرحمن بن الحسن ابن أحمد بن سهل الجرجانية الأصل النيسابورية الشَّعْرية الشيخة الجليلة مسندة خراسان، (ت ٦١٥هـ)[١٤١].

١٤- المؤيد الطوسي: هو أبو الحسن رضي الدين المؤيد بن محمد بن علي بن حسن الطُّوسي ثُمَّ النيسابوري القزاز الشافعي، (ت ٦١٧هـ)[١٤٢].

١٥- أبو المعالي محمد بن ناصر بن أبي القاسم سلمان بن ناصر الأنصاري، (ت ٦١٧هـ)[١٤٣].

١٦- ابن الصفار: هو أبو بكر شهاب الدين القاسم بن عبد الله بن عمر بن أحمد بن منصور ابن محمد، الإمام الفقيه الشافعي المسند الجليل مفتي خراسان، (ت ٦١٨هـ)[١٤٤].

١٧- أبو النجيب القارئ: هو إسماعيل بن عثمان بن إسماعيل بن أبي القاسم بن أبي بكر بن عبد العزيز النيسابوري، (ت ٦١٨هـ)[١٤٥].

ز. *مرو*:

---

[١٣٩]- قال ابن الصلاح في "علوم الحديث" (ص: ٣٣٣): (كان لشيخنا منصور بن أبي المعالي النيسابوري حفيد الفراوي ثلاث كنى: أبو بكر، وأبو الفتح، وأبو القاسم).

[١٤٠]- تُنظر ترجمته في "التكملة لوفيات النقلة" للمنذري (٢/٢٢٨).

[١٤١]- تُنظر ترجمتها في "التكملة لوفيات النقلة" للمنذري (٢/٤٥٣).

[١٤٢]- تُنظر ترجمته في "التكملة لوفيات النقلة" للمنذري (٣/٢٦).

[١٤٣]- تُنظر ترجمته في "تاريخ الإسلام" للذهبي (١٣/٥٣١).

[١٤٤]- تُنظر ترجمته في "التكملة لوفيات النقلة" للمنذري (٣/٦٦-٦٧).

[١٤٥]- تُنظر ترجمته في "التكملة لوفيات النقلة" للمنذري (٣/٦٧-٦٨).

١٨- السمعاني: هو أبو المُظَفَّر فخر الدين عبد الرحيم بن عبد الكريم بن محمد بن منصور ابن محمد السمعاني التميمي المروزي الشافعي, (٥٦١٧)[١٤٦].

ح. *قزوين*:

١٩- الرافعي: هو أبو القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن الفضل بن الحسين الرافعي القزويني الشافعي, (ت ٥٦٢٣)[١٤٧].

ط. *حران*:

٢٠- الرُّهاوي: هو أبو محمد عبد القادر بن عبد الله الرُّهاوي الحنبلي, (ت ٥٦١٢)[١٤٨].

ي. *حلب*:

٢١- ابن الأستاذ: هو زين الدين أبو محمد عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان بن عبد الله الأسدي الشافعي, قاضي حلب, (ت ٥٦٢٣)[١٤٩].

ك. *دمشق*:

٢٢- ابن الحَرَسْتَاني: هو أبو القاسم جمال الدين عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل بن علي بن عبد الواحد الأنصاري الخزرجي العُبَادي الدمشقي الشافعي, (ت ٦١٤هـ)[١٥٠].

---

[١٤٦]- تُنظر ترجمته في "العبر في خبر من غبر" للذهبي (٥/٦٨-٦٩).

[١٤٧]- تُنظر ترجمته في "العبر في خبر من غبر" للذهبي (٥/٩٤).

[١٤٨]- تُنظر ترجمته في "التكملة لوفيات النقلة" للمنذري (٢/٣٣٢-٣٣٤).

[١٤٩]- تُنظر ترجمته في "التكملة لوفيات النقلة" للمنذري (٣/١٧٧-١٧٨).

[١٥٠]- تُنظر ترجمته في "التكملة لوفيات النقلة" للمنذري (٢/٤١٥-٤١٦).

٢٣- الفخر بن عساكر: هو أبو منصور فخر الدين عبد الرحمن بن محمد بن الحسين بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقي الشافعي, (ت ٦٢٠هـ)[١٥١].

٢٤- ابن قُدامة: هو أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجَمَّاعيلي ثُمَّ الدمشقي الصالحي الحنبلي, (ت ٦٢٠هـ)[١٥٢].

٢٥- زين الأمناء بن عساكر: هو أبو البركات زين الأمناء الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقي الشافعي, (ت ٦٢٧هـ)[١٥٣].

وهكذا كثر شيوخ ابن الصلاح وتنوعت ثقافتهم, فمنهم المحدث, والمفسر, والأصولي, والفقيه, واللغوي, والمؤرخ... وطوعا لهذا تنوعت ثقافته ومعارفه؛ فقد أطبقت كلمة كل من ترجم له على أنه «كان أحد فضلاء عصره في التفسير, والفقه, وأسماء الرجال, ونقل اللغة»[١٥٤], وكانت له مشاركة في فنون كثيرة, فهو موسوعي الثقافة, غزير المعرفة, وإن اشتهر بإمامته في الحديث وعلومه.

المبحث الرابع: المكانة العلمية لابن الصلاح وثناء العلماء عليه.

أثنى العلماء على ابن الصلاح ثناءً منقطع النظير, مما يدل على تمتعه بمكانة سامية في قلوب علماء عصره ومن جاء بعدهم, وتبوُّئه المكانة المرموقة عندهم؛ فقد كثرت جوانب

---

[١٥١]- تُنظر ترجمته في "التكملة لوفيات النقلة" للمنذري (٣/١٠٢-١٠٣).

[١٥٢]- تُنظر ترجمته في "التكملة لوفيات النقلة" للمنذري (٣/١٠٧).

[١٥٣]- تُنظر ترجمته في "التكملة لوفيات النقلة" للمنذري (٣/٢٥٨-٢٥٩).

[١٥٤]- "وفيات الأعيان" لابن خلكان (٣/٢٤٣).

الثناء على هذه الشخصية الفذة فقد «كان إماما في الفقه والحديث، عارفا بالتفسير والأصول والنحو، ورعا زاهدا، ملازما لطريقة السلف الصالح»[١٥٥]. حتى أثنى عليه أقرانه.

ويتضح هذا جليّا من التقريظ والثناء الذي خصه به معاصروه، ومن بعدهم من العلماء والمؤرخين، ما تتضمخ به المعاطف، أورد منها ما يلي:

١- قول أبي عمرو ابن الحاجب (ت ٦٤٦ه): (إمام ورع، وافر العقل، حسن السمت، متبحر في الأصول والفروع، بالغَ في الطلب حتى صار يُضرب به المثل، وأجهد نفسه في الطاعة والعبادة)[١٥٦].

٢- وقول أبي زكريا النووي (ت ٦٧٦ه): (الشيخ الإمام الحافظ الضابط البارع المتقن المحقق بقية العلماء المحققين، والصلحاء العارفين، ذو التصانيف الحميدة، والمؤلفات المفيدة أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشافعي، المعروف بابن الصلاح)[١٥٧].

٢- وقول تلميذه شمس الدين بن خلكان (ت ٦٨١ه): (كان أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال، وما يتعلق بعلم الحديث ونقل اللغة، وكانت له مشاركة في فنون عديدة، وكانت فتاويه مسددة [...] ولم يزل أمره جاريا على سداد وصلاح حال واجتهاد في الاشتغال والنفع إلى أن توفي)[١٥٨].

١٥٥- "طبقات الشافعية" للأسنوي (٤١/٢).

١٥٦- "سير أعلام النبلاء" للذهبي (١٤٢/٢٣).

١٥٧- "إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق" للنووي (١٠٧/١-١٠٨).

١٥٨- "وفيات الأعيان" لابن خلكان (٢٤٣/٣-٢٤٤).

٣- وثناء تلميذه صفي الدين المراغي (ت ٦٨٥ه) بقوله: (أحد الأئمة المشهورين، والعلماء العاملين، والحفاظ المذكورين، جمع بين علوم متعددة: علم الفقه، وعلم أصوله، وعلم الحديث، وعلم العربية، مع ما أوتي من التحري والإتقان والتحقيق، مضافاً إلى سلوك طريقة السلف، معظَّما عند الخاص والعام)[١٥٩].

٤- وبالغ[١٦٠] الذهبي (ت ٧٤٨ه) في مدحه فقال: (الإمام الحافظ العلاّمة شيخ الإسلام [...] أَشْغَلَ وأفتى، وجمع وألف، تخرج به الأصحاب، وكان من كبار الأئمة [...] كان ذا جلالة عجيبة، ووقار وهيبة، وفصاحة، وعلم نافع، وكان متين الديانة، سلفي الجُمْلة، صحيح النحلة، كافاً عن الخوض في زلات الأقدام، مؤمناً بالله وبما جاء عن الله من أسمائه ونعوته، حسن البزة، وافر الحرمة، معظَّما عند السلطان [...] وكان مع تبحّره في الفقه مجوِّداً لما ينقله، قوي المادة من اللغة العربية، متفنّناً في الحديث، متصونا مُكِباً على العلم، عديم النظير في زمانه)[١٦١].

٥- وقال أبو نصر السبكي (ت ٧٧١ه): (الشيخ ابن الصلاح، رب الفوائد والفرائد، ومجمع الغرائب والنوادر)[١٦٢]، وقال أيضا: (الشَّيخ العلاّمة تقي الدين أحد أئمة المسلمين علما وديانا [...] وتفقه عليه خلائق، وكان إماماً كبيرا، فقيها محدِّثا، زاهدا ورعا، مفيدا معلما. استوطن دمشق يعيد

---

[١٥٩]- "ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة" لابن رُشيد السبتي (٣/٢١٧).

[١٦٠]- أقصد المبالغة الجارية مجرى الاعتدال.

[١٦١]- "سير أعلام النبلاء" للذهبي (٢٣/١٤٠-١٤٢).

[١٦٢]- "طبقات الشافعية الكبرى" للسبكي (١/٢١٧).

زمان السالفين ورعا، ويزيد بهجتها بروضة علم جنى كلُّ طالبٍ جناها ورعا، ويفيد أهلها، فما منهم إلاَّ من اغترف من بحره واعترف بدُرره وحفظ جانب مثله ورعا)[١٦٣].

٦- وقال أبو الفداء ابن كثير (ت ٧٧٤ه) فيه: (كان إماما بارعا حجة، متبحرا في العلوم الدينية، بصيرا بالمذهب أصوله وفروعه، له يد طولى في العربية والحديث والتفسير، مع عبادة وتهجد وورع ونسك وتعبد، وملازمة للخير على طريقة السلف في الاعتقاد [...] وله فتاوى سديدة، وآراء رشيدة)[١٦٤].

٧- وقال أبو الخير السخاوي (ت ٩٠٢ه): (العلامة الفقيه، حافظ الوقت، مفتي الفرق، شيخ الإسلام، تقي الدين أبو عمرو عثمان [...] كان إماما بارعا، حجة، متبحرا في العلوم الدينية، بصيرا بالمذهب ووجوهه، خبيرا بأصوله، عارفا بالمذاهب، جيد المادة من اللغة العربية، حافظا للحديث، متفننا فيه، حسن الضبط، كبير القدر، وافر الحرمة، عديم النظير في زمانه، مع الدين، والعبادة، والنسك، والصيانة، والورع، والتقوى)[١٦٥].

٨- وقال أبو بكر السيوطي (ت ٩١١ه): (الإمام الحافظ شيخ الإسلام [...] كان من أعلام الدين، أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه، مشاركا في عدة فنون، متبحرا في الأصول والفروع، يُضرب به المثل، سلفياً، زاهداً، حسن الاعتقاد، وافر الجلالة)[١٦٦].

---

[١٦٣]- نفسه (٨/٣٢٦-٣٢٧).

[١٦٤]- "طبقات الشافعية" لابن كثير (ص: ٧٨٢).

[١٦٥]- "فتح المغيث بشرح ألفية الحديث"، أبو الخير محمد عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢ه)، تحقيق: عبد الكريم بن عبدالله الخضير ومحمد بن عبد الله آل فهيد، مكتبة المناهج – الرياض، ط: الأولى، سنة: ١٤٢٦ه، (١/١٦-١٧).

[١٦٦]- "طبقات الحفاظ" للسيوطي (ص: ٥٠٣).

ولا مزيد على وصف هؤلاء الأئمة، وهم من هم علما، وعدلا، وإنصافا، وصدقا، فلم يكن ابن الصلاح ليصل إلى هذه الدرجة الرفيعة، والمنزلة العظيمة، لولا ما جبله الله عليه من حسن الشمائل، وكريم الصفات، و﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُوتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[١٦٧].

المبحث الخامس: عقيدة ابن الصلاح وموقفه من الفلسفة والمنطق.

المطلب الأول: عقيدة ابن الصلاح:

أما عقيدة ابن الصلاح فقد تبين لنا جليا من النقول السابقة عن تلاميذه، وغيرهم من العلماء والفضلاء، أنه عُرف بحسن المعتقد، واتباعه عقيدة أهل السنة، وكفه عن الخوض في صفات الله وأسمائه، وإيمانه بما جاء من عند الله ﷻ ورسوله ﷺ، على مرادهما.

قال فيه ابن كثير: (كان دينا زاهدا ورعا ناسكا، على طريق السلف الصالح، كما هي طريقة متأخري أكثر المحدثين)[١٦٨]. وقال الذهبي: (كان متين الديانة، سلفي الجملة، صحيح النِّحلة، كافا عن الخوض في مزلات الأقدام مؤمنا بالله، وبما جاء عن الله من أسمائه ونعوته)[١٦٩]، وقال أيضا: (كان حسن الاعتقاد على مذهب السلف؛ يرى الكف عن التأويل، ويؤمن بما جاء عن الله ورسوله على مرادهما ولا يخوض ولا يتعمق)[١٧٠].

وهذا ما قرره في فتاواه؛ فعندما سُئل عن طائفة يعتقدون أنّ الحروف التي في المصحف قديمة، والصوت الذي يظهر من الآدمي حالة القراءة قديم، كيف يحل هذا؟ ومذهب السلف

---

[١٦٧]- سورة الجمعة، الآية: ٤.

[١٦٨]- "البداية والنهاية" لابن كثير (٢٥٣/١٥).

[١٦٩]- "سير أعلام النبلاء" للذهبي (١٤٢/٢٣).

[١٧٠]- "تاريخ الإسلام" للذهبي (٤٥٦/١٤).

بخلاف هذا, ومذهب أرباب التأويل يخالف هذا... الخ. فأجاب: (الذي يَدين به من يُقتدى به من السالفين والخالفين واختاره عباد الله الصالحون أن لا يُخاض في صفات الله تعالى بالتكييف, ومن ذلك القرآن العزيز؛ فلا يُقال: تكلم بكذا وكذا, بل يُقتصر فيه على ما اقتصر عليه السلف. والقرآن كلام الله منزل غير مخلوق...)[١٧١].

وسُئل عن صفة النزول في حديث: ﴿ينزل ربنا في كل ليلة إلى السماء الدنيا...﴾[١٧٢], فأجاب: (الذي عليه الصالحون من السلف والخلف الاقتصار في ذلك وأمثاله على الإيمان الجملي بها, والإعراض عن الخوض في معانيها, مع اعتقاد التقديس المطلق, وأنه ليس معناها ما يُفهم من مثلها في حق المخلوق)[١٧٣].

ومن أراد الاستزادة فليراجع فتاواه فإنه سيجد بغيته, والله الموفق وهو الهادي سواء السبيل.

المطلب الثاني: موقف ابن الصلاح من الفلسفة والمنطق:

ومما يلفت النظر في هذا السياق موقف ابن الصلاح من الفلسفة والمنطق, والحكم على من يشتغل بهما بالزيغ والضلال, وأنَّ من طالع تصانيف الفيلسوف أبي علي ابن سينا (ت

---

[١٧١]– "فتاوى ومسائل ابن الصلاح", أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت ٥٦٤٣)، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المعرفة – بيروت، ط: الأولى، سنة: ١٩٨٦م، (٢١٥/١).

[١٧٢]– رواه البخاري في "الجامع المسند الصحيح"، كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، (قم: ١١٤٥)، ومسلم في "المسند الصحيح"، كتاب الصلاة، (رقم: ٧٥٩)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

[١٧٣]– "فتاوى ومسائل ابن الصلاح" (١٦٨/١).

٥٤٢٧)[١٧٤] «فقد غرر بدينه، وتعرض للفتنة العظمى، ولم يكن من العلماء، بل شيطانا من شياطين الإنس، وكان حيران في كثير من أمره»[١٧٥].

ومما نُقل عن ابن الصلاح فتواه الشهيرة في الفلسفة والمنطق التي قال فيها: (الفلسفة رأس السفه والانحلال، ومادة الحيرة والضلال، ومثار الزيغ والزندقة، ومن تفلسف عميت بصيرته عن محاسن الشريعة المؤيدة بالحجج الظاهرة، والبراهين الباهرة، ومن تلبس بها تعليماً وتعلماً قارنه الخذلان والحرمان، واستحوذ عليه الشيطان [...] وأما المنطق فهو مدخل الفلسفة، ومدخل الشر شر، وليس الاشتغال بتعليمه وتعلمه مما أباحه الشارع، ولا استباحه أحد من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين، والسلف الصالحين، وسائر من يُقتدى به من أعلام الأئمة وسادتها، وأركان الأمة وقادتها، قد بَرَّأ الله الجميع من مغرة ذلك وأدناسه، وطهرهم من أوضاره...)[١٧٦].

فلم حكم ابن الصلاح على الفلسفة بأنها رأس السفه، وبأن المنطق مدخل إليها فهو شر؛ لأنَّ مدخل الشر شر؟ أيرجع ذلك إلى عجزه عن استيعاب الفلسفة فانقلب عليها مناوئا لها، أم أنَّ هذا الموقف يرجع إلى ظروف النشأة، وطبيعة العصر؟

---

[١٧٤]- تُنظر ترجمته في: "وفيات الأعيان" لابن خلكان (٢/١٥٧)، و"سير أعلام النبلاء" للذهبي (١٧/٥٣١).

[١٧٥]- "فتاوى ومسائل ابن الصلاح" (١/٢٠٨-٢٠٩).

[١٧٦]- "فتاوى ومسائل ابن الصلاح" (١/٢٠٩-٢١٢)، وتتمة كلامه: (...وأما استعمال الاصطلاحات المنطقية في مباحث الأحكام الشرعية فمن المنكرات المستبشعة، والرَّقَاعَات المستحدثة، وليس بالأحكام الشرعية – والحمد الله – فالافتقار إلى المنطق أصلا، وما يزعمه المنطقي للمنطق من أمر الحد والبرهان: فقعاقع قد أغنى الله عنها بالطريق الأقوم والسبيل الأسلم الأطهر كل صحيح الذهن، لا سيما من خدم نظريات العلوم الشرعية، ولقد تمت الشريعة وعلومها وخاض في بحار الحقائق والدقائق علماؤها، حيث لا منطق ولا فلسفة ولا فلاسفة).

إنَّ الزعم بأنَّ ابن الصلاح «قد امتلأت نفسه كرها للمنطق والفلسفة حين شعر بأنَّ عقليته لم تكن مهيأة لمعرفتهما فربط هذا الموقف بالدين»[١٧٧]، وأنَّ هذا هو السبب الذي حمله على أن يتهم الفلسفة والمنطق بما اتهمهما به غير مُسلَّم؛ لأنّ آثاره العلمية تدل على أنه كان ذا عقل لا يعجز عن دراسة الفلسفة والمنطق، ثم إنَّ حكمه عليهما لا يمكن أن يكون إلا بعد تجربة فكرية معهما، وليس مقبولا – والرجل مشهود له بالورع والتقوى – أن يحكم في قضية ما دون أن يلم بها، وتصور حيثياتها، بصرف النظر عن صحة الحكم أو عدم صحته.

إنّ أغلب شيوخ ابن الصلاح من المحدثين والفقهاء، وليس ببعيد أن يوعزوا إليه بأن يسلك في طلبه للعلم مسلك الفقهاء والمحدثين، فعلمهم هو العلم النافع في الدنيا والآخرة، وليس ببعيد كذلك أن يوعزوا إليه بترك الخوض فيما خاض فيه الفلاسفة والمناطقة؛ لأنَّ دراسة الفلسفة والمنطق تورث الحيرة أكثر مما تورث اليقين، فضلا عن تعارضها مع الشرع.

ويُصور هذا الموقف العدائي للفلسفة والمنطق ما ذكره ابن خَلكان من أنَّ ابن الصلاح قصد شيخه أبا الفتح كمال الدين بن يونس (ت ٦٣٩ه) ليتعلم منه المنطق سرا، فنصحه الكمال بن يونس أن يترك الاشتغال به؛ لأنَّ الناس يعتقدون فيه الخير وهم ينسبون كل من اشتغل بهذا الفن إلى فساد الاعتقاد، وبهذا تفسد عقيدة الناس فيه، ولا يحصل له من هذا الفن شيء؛ فقَبِل ابن الصلاح إشارته وترك قراءة المنطق[١٧٨].

---

[١٧٧]– ينظر: "الجانب المنطقي في فلسفة الغزالي"، محمد عبد الستار نصار، "حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة قطر"، العدد: الرابع، سنة: ١٩٨٥م، (ص: ٣٩١).

[١٧٨]– ينظر: "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" لابن خلكان (٣١٤/٥).

وقد كتب أبو عمرو ابن الصلاح في "طبقات الشافعية" فصلا في (بيان أشياء مهمة أُنكرت على الإمام الغزالي في مصنفاته، ولم يرتضها أهل مذهبه وغيرهم من الشذوذات في متصرفاته)[١٧٩]، وذكر من ذلك قول أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ه) في مقدمة المنطق في أول المستصفى: (هي مقدمة العلوم كلِّها، ومن لا يُحيط بها فلا ثقة له بعلومه أصلا)[١٨٠]، ويقول ابن الصلاح: (سمعت الشيخ عماد الدين بن يونس يحكي عن يوسف الدمشقي[١٨١] (ت ٥٥٦٣ه) مدرس نظامية بغداد – وكان من النُّظار المعروفين – أنه كان ينكر هذا الكلام ويقول: فأبو بكر وعمر وفلان وفلان – يعني أنَّ أولئك السادة – عظمت حظوظهم من البلج واليقين، ولم يحيطوا بهذه المقدمة وأشباهها)[١٨٢].

وقد اشتد في عصر ابن الصلاح الصراع بين الفقهاء ورجال المنطق والفلسفة، بحيث أصبح شائعا: (من تمنطق تزندق)، ذلك الصراع الذي بدأ منذ القرن الثاني مع ترجمة علوم الأوائل، فطُبع هذا العصر بطابع المناهضة للفكر الفلسفي، وليس الفكر العقلي؛ فالتيار العلمي «ازدوج فيه العقل والسمع، واصطحب فيه الرأي والشرع»[١٨٣]، ولكنه كان لا يهش للفلسفة والمنطق؛ نتيجة لأصداء ذلك الصراع[١٨٤]، ولأنَّ الأمة كانت في مرحلة تاريخية تحاول فيها أن

---

[١٧٩]– "طبقات الشافعية" لابن الصلاح (٢٥٢/١).

[١٨٠]– "المستصفى من علم الأصول" للغزالي (٢٩/١).

[١٨١]– هو أبو المحاسن يوسف بن عبد الله بن بُندار الدمشقي الشافعي، برع في الفقه والأصول والخلاف، وصار أنظر أهل عصره. تُنظر ترجمته في "تاريخ الإسلام" للذهبي (٣١٢/١٢).

[١٨٢]– "طبقات الشافعية" لابن الصلاح (٢٥٢/١).

[١٨٣]– "المستصفى من علم الأصول" للغزالي (١٢/١).

[١٨٤]– "مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي" لعلي النشار (ص: ١٤٣– ١٤٨).

تعتصم بالتراث السلفي؛ لتحمي نفسها, وتدفع أخطار الغزو الخارجي عنها, ولعل ذلك وراء ما صدر من فتاوى ومؤلفات في مشرق العالم الإسلامي ومغربه تحرم الاشتغال بالفلسفة والمنطق.

ولا ريب في أنَّ العصر والظروف التي نشأ فيها ابن الصلاح كان لهما التأثير الواضح في شخصيته العلمية, وهي شخصية تضيق ذرعا بآراء الفلاسفة والمناطقة وتأويلات المتكلمين, وتجنح إلى السلامة في الاعتقاد[١٨٥].

فابن الصلاح لم يهاجم الفلسفة والمنطق لعجزه عن فهمهما أو دراستهما, وإنَّما كان هذا الموقف صدى للثقافة الذاتية للرجل, ولظروف نشأته, وللظروف التاريخية العصيبة التي ألمت بالمجتمعات الإسلامية, والتي تفرض عليها الرجوع إلى منهج السلف في الاعتقاد والعمل, وألا تشغل نفسها بالفكر النظري, والجدل اللفظي العقيم.

المبحث السادس: اشتغال ابن الصلاح بالتدريس.

بعد تلك الرحلة الواسعة في الطلب والتحصيل بدأت المرحلة الثانية من حياة ابن الصلاح, وهي مرحلة التعليم وإفادة الطلاب, إذ أُسندت إليه مهمة التدريس في المدارس التي كانت بمثابة جامعات تخرِّج العلماء في مختلف التخصصات, فأقام في القدس مدة ليست بالطويلة, ثم نزح بعد ذلك إلى دمشق مستقرا بها.

والمدارس التي درَّس فيها ابن الصلاح هي:

---

[١٨٥]- "سير أعلام النبلاء" (١٤٢/٢٣)، و"تاريخ الإسلام" (٤٥٦/١٤)، كلاهما للذهبي، و"البداية والنهاية" (٢٥٣/١٥) لابن كثير، و"طبقات الحفاظ" (ص: ٥٠٣) للسيوطي.

١- المدرسة الصلاحية: وتسمَّى أيضا الناصرية، وتقع في القدس، وتنسب إلى بانيها السلطان الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي، وكانت كنيسة فهدمها وبناها مدرسة للشافعية سنة ٥٥٨٣[١٨٦]، درَّس فيها ابن الصلاح إلى حدود سنة ٦١٦ه، لما أمر الملك المعظم بن العادل بهدم سور القدس[١٨٧]، فنزح بعدها إلى دمشق. وقد عادت الآن كنيسة للنصارى[١٨٨].

٢- المدرسة الرواحية: وتنسب إلى بانيها أبي القاسم زكي الدين هبة الله بن محمد بن رواحة الحموي التاجر المعدَّل (ت ٦٢٢ه)، وذُكر أن ابن الصلاح هو أوَّل من درَّس فيها[١٨٩]، وكان ذلك بعد قدومه دمشق قادما إليها من القدس، بعد سنة ٦١٦ه أو فيها. وقد أصبحت الآن دارا للسكن[١٩٠].

٣- المدرسة الشامية الجوَّانية: وتسمَّى الشامية الصغرى، وتنسب إلى منشئتها ست الشام زمرد خاتون بنت نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان (ت ٦١٦ه)[١٩١]. ابتدأ ابن الصلاح التدريس فيها في جمادى الأولى سنة ٦٢٨ه[١٩٢]، «وقد خربت هذه المدرسة، ولم يبقَ فيها سوى بابها وواجهتها الحجرية، واتُخذت دارا»[١٩٣].

١٨٦- "الدارس في تاريخ المدارس" للنعيمي (٢٥١/١)، و"منادمة الأطلال" عبد القادر بدران (ص: ١١٣).

١٨٧- "سير أعلام النبلاء" للذهبي (٤٥٥/١٤)، و"طبقات الشافعية" لابن كثير (ص: ٧٨٠)، و"طبقات الشافعية" للأسنوي (٤١/٢)، و"طبقات الشافعية" لابن قاضي شهبة (١٤٣/٢)

١٨٨- "خطط الشام" لمحمد كرد علي (١٢٠/٦-١٢١).

١٨٩- "الدارس في تاريخ المدارس" للنعيمي (١٩٩/١-٢٠٠)، و"منادمة الأطلال" لابن بدران (ص: ١٠٠).

١٩٠- "خطط الشام" لمحمد كرد علي (٧٩/٦).

١٩١- "الدارس في تاريخ المدارس" للنعيمي (٢٢٧/١-٢٢٨)، و"منادمة الأطلال" لابن بدران (ص: ١٠٦).

١٩٢- "مرآة الزمان" لسبط ابن الجوزي (٣٠٨/٢٢)، و"تاريخ الإسلام" للذهبي (٦٥٧/١٣)، و"البداية والنهاية" لابن كثير (١٧٧/١٥).

١٩٣- "خطط الشام" لمحمد كرد علي (٧٩/٦-٨٠).

٤- دار الحديث الأشرفية: تنسب إلى بانيها الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن أيوب (ت ٦٣٥هـ)، وافتتحت في النصف من شعبان سنة ٦٢٩هـ، بعد أن استغرق بناؤها سنتين، ووقف عليها أوقافا، وأول من ولي مشيختها أبو عمرو ابن الصلاح[١٩٤]، وهو الذي صنف كِتَابَ وقفها، وبقي فيها ثلاث عشرة سنة[١٩٥]، ولا تزال مدرسة حتى اليوم[١٩٦].

وقد أدى ابن الصلاح ما أُسند إليه حق التأدية، «فكان يقوم بوظائف الجهات الثلاث من غير إخلال بشيء منها إلا لعذر ضروري لابد منه»[١٩٧].

المبحث السابع: الآثار العلمية لابن الصلاح ومؤلفاته.

على الرغم من تفرغ ابن الصلاح للطلبة وللتدريس في المدارس الثلاث السالفة الذكر في دمشق، لم تشغله أعباء مناصبه عن الفتيا والتأليف؛ فصنّف كتبا كثيرة مفيدة يُرحل إليها[١٩٨]، يمكننا من خلالها أن نتعرف القدرة العلمية الفذة لهذا العَلم. وهذه الثروة العلمية من المؤلفات القيمة، ليست مقصورة على فن بعينه، وإنّما شملت جل العلوم الإسلامية؛ كالعقيدة، والفقه، والحديث، والأصول، والتفسير... وغيرها.

---

[١٩٤]- "مرآة الزمان" لسبط ابن الجوزي (٣١٩/٢٢)، و"سير أعلام النبلاء" للذهبي (٤٥٥/١٤)، و"طبقات الشافعية" لابن كثير (ص: ٧٨٠)، و"طبقات الشافعية" للأسنوي (٤١/٢)، و"طبقات الشافعية" لابن قاضي شهبة (١٤٣/٢).

[١٩٥]- "الدارس في تاريخ المدارس" للنعيمي (١٥/١-١٦)، و"منادمة الأطلال" لابن بدران (ص: ٢٤-٣٠).

[١٩٦]- "خطط الشام" لمحمد كرد علي (٧١/٦-٧٢). وجاء في التعليق على كتاب "منادمة الأطلال" لعبد القادر بدران (ص: ٢٤): (فيها الآن إعدادية للعلوم الشرعية، يُنفِق عليها جماعة من أهل الخير، وتقام فيها الجمعة).

[١٩٧]- "وفيات الأعيان" لابن خلكان (٢٤٤/٣).

[١٩٨]- "البداية والنهاية" لا بن كثير (٢٥٢/١٥).

قال تلميذه أبو الصفا المراغي (ت ٦٨٥ه): (صنف أشياء مفيدة في الحديث, وفي الفقه, وفي غير ذلك, ولم يكمل من ذلك إلا اليسير, وكان حسن التصنيف, مليح التنقيح)[١٩٩].

وسأورد هنا أسماء بعض مصنفاته المشهورة, مقسمةً إلى ثلاث مجموعات, مرتبةً على حروف المعجم:

المجموعة الأولى: الكتب المطبوعة:

١- "أدب المفتي والمستفتي"؛ طُبع بتحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر, مكتبة العلوم والحكم وعالم الكتب, الطبعة: الأولى, سنة: ١٤٠٧ه - ١٩٨٦م.

٢- "الثالث من أمالي ابن الصلاح"؛ طبع بتحقيق وتعليق: رياض حسين عبد اللطيف الطائي, دار النوادر - سورية, الطبعة: الأولى, سنة: ١٤٣٤ه - ٢٠١٣م[٢٠٠].

٣- "حلية الإمام الشافعي أبي عبد الله محمد بن إدريس"؛ طبع بتحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي, دار البصائر, الطبعة: الأولى, سنة:١٤٠١ه - ١٩٨١م.

٤- "الرد على الترغيب عن صلاة الرغائب الموضوعة, وبيان ما فيها من مخالفة السنن المشروعة"؛ ردَّ فيه على العزّ بن عبد السلام (ت ٦٦٠ه) في كتابه المذكور, وقد أجاز ابن الصلاح في رده هذا صلاة الرغائب[٢٠١] وقوَّاها ونصرها, مع حُكمه على الحديث

---

[١٩٩]- "ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة" لابن رُشيد السبتي (٣/٢١٧).

[٢٠٠]- أملاها بزاوية الحديث الأشرفية بالكَلَّاسة من جامع دمشق، في مجالس كان أولها: عشية يوم الاثنين ٢٤ محرم ٦٢٨ه، وآخرها يوم الاثنين ٢١ ربيع الأول ٦٢٨ه. كما جاء في طباق السماع ينظر: "الثالث من أمالي ابن الصلاح" لابن الصلاح (ص: ٣٧ و٨٧).

[٢٠١]- قال النووي في "المجموع شرح المهذب" (٣/٥٤٩): (الصلاة المعروفة بصلاة الرغائب، وهي ثنتا عشرة ركعة، تُصَلَّى بين المغرب والعشاء ليلة أول جمعة في رجب). وقال الذهبي في "سير أعلام النبلاء" (٢٣/١٤٣): (له [أي: ابن الصلاح] مسألة ليست من قواعده شذ فيها، وهي صلاة الرغائب؛ قواها ونصرها, مع أنّ الحديث باطل بلا تردد).

الوارد فيها بالبطلان والوضع، ثم ردَّ العز بن عبد السلام على ردِّه السابق، وقد طُبعت ثلاثتها تحت عنوان: "مساجلة علمية بين الإمامين الجليلين العز بن عبد السلام وابن الصلاح حول صلاة الرغائب المبتدعة"، بتحقيق: محمد ناصر الدين الألباني وزهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية، سنة: ١٤٠٥ه.

٥- "شرح مشكل الوسيط"؛ طبع بتحقيق: عبد المنعم خليفة أحمد بلال، دار كنوز إشبيليا - الرياض، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤٣٢ه - ٢٠١١م.

٦- "صلة الناسك في صفة المناسك"؛ طبع بتحقيق عبد الكريم بن صنيتان العُمري، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤٣٢ه - ٢٠١١م.

٧- "صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسَّقَط"؛ طبع بتحقيق: موفق بن عبدالله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة: ١٤٠٤ه - ١٩٨٤م. وهو شرح لم يتم، وصل فيه إلى نهاية كتاب الإيمان منه.

٨- "طبقات الفقهاء الشافعية"؛ طبع بتحقيق: محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤١٣ه - ١٩٩٦م.

٩- "فتاوى ومسائل ابن الصلاح في التفسير والحديث والأصول والفقه"؛ جمعها واعتنى بترتيبها تلميذه أبو إبراهيم كمال الدين إسحاق بن أحمد بن عثمان المعري المقدسي (ت ٦٥٠هـ)[٢٠٢]، طبع بتحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المعرفة – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤٠٦ه - ١٩٨٦م.

---

[٢٠٢]– "فتاوى ومسائل ابن الصلاح" (٢/١٣٧-١٣٨).

١٠- "معرفة أنواع علم الحديث"؛ وهو الكتاب موضوع هذه الدراسة, سأتحدث عن أشهر طبعاته في الصفحة: ٧٥ من هذا البحث.

١١- "وصل البلاغات الأربعة في الموطأ"؛ تحقيق: عبد الله بن الصديق الغماري, علق عليها: عبد الفتاح أبو غدة, طبع في آخر كتاب: "تَوجيه النَّظَر إلى أُصولِ الأَثَر" للشيخ طاهر الجزائري الدمشقي, مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب, الطبعة: الأولى, سنة: ١٤١٦ه - ١٩٩٥م, (الصفحات: ٩١٢-٩٣٧).

المجموعة الثانية: الكتب المخطوطة:

١٢-"تاريخ أسطوري للرسول ﷺ"؛ مخطوط في فلورنسة (رقم: ١٢١)[٢٠٣].

١٣- "شرح حديث الرحمة المسلسل بالأولية: الراحمون يرحمهم الرحمن, وطرقه وفوائده"؛ في كرَّاسين, منه نسخة محفوظة في خزانة العلامة عبد الحي الكتاني (ت ١٣٨٢ه)[٢٠٤], وقد سماه الروداني (ت ١٠٩٤ه) "مجلس فيه حديث الرحمة بفوائد غزيرة"[٢٠٥], قال أبو الصفاء المراغي (ت ٦٨٥ه): (جزء نبيل نبيه [...] مملوء فوائد, بغرائب من النفع عوائد)[٢٠٦], وقال القاسم التُّجيبي (ت ٧٣٠ه): (جزء حسن عزيز

---

[٢٠٣]- "تاريخ الأدب العربي" لبروكلمان (٦/٢١٠). قلت: وفي النفس شيء من هذه النسبة؛ فإني لم أجد من ذكر له هذا الكتاب فيما وقفت عليه من مصادر ترجمته غير بروكلمان، والله أعلم.

[٢٠٤]- "فهرس الفهارس" لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني (١/٩٤).

[٢٠٥]- "صلة الخلف بموصول السلف" لمحمد بن سليمان الرّوداني (ص: ٣٩٨).

[٢٠٦]- "ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة" لابن رُشيد (٣/٢١٨).

الفوائد, فيه حديث الرحمة المسلسل, والكلام عليه من علوم عديدة [...] وهو الأول من مجالس إملائه)[٢٠٧].

١٤-"شرح الورقات في أصول الفقه لأبي المعالي الجويني (ت ٥٤٧٨)"؛ مخطوط, منه نسخة في دار الكتب الظاهرية (ثان ٢٤٩), ومكتبة سليم آغا (رقم: ٢٦٩), وفي رامبور أول (٧٩/٢٧٥)[٢٠٨].

١٥-"مختصر في أحاديث الأحكام"؛ مخطوط, منه نسخة في مكتبة راغب باشا (رقم: ١٤١)[٢٠٩].

١٦-"مسند الحافظ عثمان بن الصلاح الأثري فيما ورد من الأحاديث في فضل الإسكندرية وعسقلان"؛ مخطوط, منه نسخة محفوظة في برلين (رقم: ١٣٨٩)[٢١٠].

وجاء اسمه عند بروكلمان: "الأحاديث في فضل الإسكندرية وعسقلان".

١٧-"مشكلات البخاري"؛ مخطوط, منه نسخة في مكتبة جلبي عبد الله أفندي (رقم: ١٤٧٠/مجاميع)[٢١١].

المجموعة الثالثة: الكتب المفقودة:

---

[٢٠٧]- "برنامج التجيبي" للقاسم بن يوسف التُّجيبي السبتي (ص: ١٧١).

[٢٠٨]- "تاريخ الأدب العربي"، كارل بروكلمان، ترجمة: عبد حليم النجار، دار المعارف – القاهرة، ط: الخامسة، (٢١١/٦).

[٢٠٩]- "الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط"، مؤسسة آل البيت – عَمَّان، ط: الثانية، سنة: ١٩٩٤م، (١٤٠٨/٣).

[٢١٠]- "فهرس المخطوطات العربية بالمكتبة الملكية في برلين" (١٨٥/٢)، و"الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط" (١٤٥٧/٣)، و"معجم التاريخ التراث الإسلامي" (ص: ١٩٤٦)، و"تاريخ الأدب العربي" لبروكلمان (٢١٠/٦).

[٢١١]- "الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط" (١٤٨٦/٣).

١٨-"الأحاديث الكلية", جمع فيه الأحاديثَ الجوامعَ التي يُقال: إنَّ مدار الدين عليها, وما كان في معناها من الكلمات الجامعة الوجيزة, وهو يشتمل على ستة وعشرين حديثا[٢١٢].

١٩-"فوائد الرحلة" أو "الرحلة الشرقيَّة"؛ «وهي أجزاء كثيرة مشتملة على فوائد غريبة من أنواع العلوم, نقلها في رحلته إلى خراسان عن كتب غريبة»[٢١٣].

٢٠- "شرح كتاب معرفة علوم الحديث, لأبي عبد الله الحاكم"؛ بدأه ولم يكمله, قال أبو الصفاء المراغي: (وهي بدأة حافلة, وما أراها كاملة)[٢١٤].

٢١-"مجموع انتخبه من كتاب الجمع بين الطريقين, لأبي سهل محمد بن أحمد الصُّعلوكي (ت ٥٣٦٩)"؛ وقف عليه السبكي بخط ابن الصلاح, ونقل منه[٢١٥].

٢٢- "المنتخب من كتاب المذهَّب في ذكر شيوخ المذهب لأبي حفص عمر بن علي المُطَوِّعي (ت ٥٤٤٠)"؛ وقف عليه السبكي, ونقل منه في مواضع عدة من طبقاته[٢١٦].

٢٣- "مؤلَّف في بيان أنَّ رائحة المسك توجد من الصائم في الدنيا والآخرة"؛ ذكره ابن قيم الجوزية, ونقل منه[٢١٧].

---

[٢١٢]- ينظر: "جامع العلوم والحكم" لابن رجب الحنبلي (ص: ٢٦)، وذكر الباباني في "هدية العارفين" (٦٥٤/١) أنها تسعة وعشرون حديثا.

[٢١٣]- "طبقات الشافعية" لابن قاضي شهبة (١٤٦/٢)، وممن ذكر له هذا التصنيف: مجير الدين الحنبلي في "الأنس الجليل" (١٨٢/٢)، وحاجي خليفة في "كشف الظنون" (١٢٩٧/٢)، وإسماعيل باشا في "هدية العارفين" (٦٥٤/١)، والزركلي في "الأعلام" (٢٠٧/٤).

[٢١٤]- "ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة" لابن رشيد (٢١٨/٣).

[٢١٥]- ينظر: "طبقات الشافعية الكبرى" للسبكي (١١٧/٤).

[٢١٦]- ينظر: "طبقات الشافعية الكبرى" للسبكي (٢١٦/١)، (٤٤٥/٣-٤٧٠)، (٨٩/٤).

٢٤- "النكت على المهذب"؛ ذكره ابن قاضي شهبة[٢١٨].

٢٥- "وقف دار الحديث الأشرفية"؛ ذكره ابن كثير[٢١٩].

وله تصانيف غير ذلك في مسائل مفردة، ولعل السبب في عدم إتمامه لكثير منها انشغاله بأعباء مناصبه في التدريس والفتوى.

المبحث الثامن: تلامذة ابن الصلاح وطلابه.

كان للمنزلة العلمية الرفيعة التي تبوأها ابن الصلاح الأثر الكبير في التفاف طلبة العلم حوله من شتى الأصقاع، فما كاد يستقر في القدس أولا، ثُمَّ في دمشق ثانيا، حتى تقاطروا عليه من كل حدب وصوب، فتخرج عليه الخلق الكثير، والجمُّ الغفير، وكان أثر الشيخ في هذه النخبة واضحا جليا، سواء من الناحية العلمية، أو من الناحية السلوكية العملية؛ فبات من العسير إحصاء تلامذة إمام بهذه المكانة، لذا سأقتصر على ذكر أشهرهم مرتبين بحسب تواريخ وفياتهم:

١- أبو مروان محمد بن أحمد بن عبد الملك الباجي الإشبيلي المالكي، (ت ٥٦٣٥). سمع كتاب "معرفة أنواع علم الحديث" على ابن الصلاح سنة ٥٦٣٤[٢٢٠].

٢- أبو إبراهيم كمال الدين إسحاق بن أحمد بن عثمان المعري ثُمَّ المقدسي، المفتي الفقيه، كان معيدا لابن الصلاح بالرواحية، (ت ٥٦٥٠)[٢٢١].

٢١٧- "الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب" لابن قيم الجوزية (ص: ٥٨-٦٤).

٢١٨- "طبقات الشافعية" لابن قاضي شهبة (١٤٦/٢). وذكره مجير الدين الحنبلي في "الأنس الجليل" (١٨٢/٢).

٢١٩- ينظر: "البداية والنهاية" لابن كثير (٢٥٢/١٥).

٢٢٠- تُنظر ترجمته في "الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة" لابن عبد الملك المراكشي (٥٨١/٣).

٣- أبو محمد شمس الدين عبد الرحمن بن نوح بن محمد التركُمَاني المقدسي الشافعي المفتي، (ت ٦٥٤هـ)[٢٢٢].

٤- أبو محمد صدر الدين عبد الرحيم بن نصر بن يوسف البعلبكي الشافعي القاضي، (ت ٦٥٦هـ)[٢٢٣].

٥- أبو شامة شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المقدسي الشافعي، (ت ٦٦٥هـ)[٢٢٤].

٦- أبو العباس ضياء الدين صالح بن إبراهيم بن أحمد الإسعِرديُّ ثم الفارقي، الإمام النحوي الكبير، (ت ٦٦٥هـ)[٢٢٥].

٧- أبو الفضائل كمال الدين سَلاَّر بن الحسن بن عمر بن سعيد الإربلي الدمشقي، كان مفتي الشام، (ت ٦٧٠هـ)[٢٢٦].

٨- أبو حفص كمال الدين عمر بن بُندار بن عمر التَّفْلِيسِي، قاضي دمشق، (ت ٦٧٢هـ)[٢٢٧].

٩- أبو المحامد ظهير الدين محمود بن عبيد الله بن أحمد بن عبد الله الزَّنجاني الشافعي الإمام المفتي، تفقه بدمشق على ابن الصلاح، (ت ٦٧٤هـ)[٢٢٨].

---

[٢٢١]- تُنظر ترجمته في "تاريخ الإسلام" للذهبي (٦٣٥/١٤).

[٢٢٢]- تُنظر ترجمته في "تاريخ الإسلام" للذهبي (٧٥٨/١٤).

[٢٢٣]- تُنظر ترجمته في "تاريخ الإسلام" للذهبي (٨٢٤/١٤).

[٢٢٤]- تُنظر ترجمته في "تاريخ الإسلام" للذهبي (١١٤/١٥). قال أبو شامة في "الذيل على الروضتين" (٢٧٠/٥): (ومنه استفدتُ علم الحديث والفقه صغيرا وكبيرا. وسمع عليه ابني محمد جملة من تصانيفه).

[٢٢٥]- تُنظر ترجمته في "تاريخ الإسلام" للذهبي (١١٣/١٥).

[٢٢٦]- تُنظر ترجمته في "تاريخ الإسلام" للذهبي (١٨٢/١٥).

[٢٢٧]- تُنظر ترجمته في "تاريخ الإسلام" للذهبي (٢٤٦/١٥).

١٠- أبو حفص عز الدين عمر بن أسعد بن أبي غالب الإربلي الشافعي القاضي، معيد الرواحية لابن الصلاح، (ت ٦٧٥هـ)[٢٢٩].

١١- أبو عبد الله تقي الدين محمد بن الحسين بن رَزِين بن موسى الحَمَويُّ الشافعي، قاضي القضاة، قدم دمشق سنة نيف وثلاثين، فلازم ابن الصلاح، وشرح عليه، وعلق عنه، (ت ٦٨٠هـ)[٢٣٠].

١٢- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خَلكان البرمكي الإربلي الشَّافِعِي، القاضي، صاحب الكِتَاب المشهور "وفيات الأعيان"، (ت ٦٨١هـ)[٢٣١].

١٣- أبو بكر جمال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن سُجمان البكري الأندلسي الشَّريشي المالكي، (ت ٦٨٥هـ)[٢٣٢].

١٤- أبو الفضائل مجد الدين يوسف بن محمد بن عبد الله بن المِهتار المصري ثم الدمشقي الشافعي، (ت ٦٨٥هـ)[٢٣٣].

١٥- أبو الصفاء صفي الدين خليل بن أبي بكر بن محمد المراغي الحنبلي، (ت ٦٨٥هـ)[٢٣٤].

---

[٢٢٨]- تُنظر ترجمته في "تاريخ الإسلام" للذهبي (٢٨٣/١٥).

[٢٢٩]- تُنظر ترجمته في "تاريخ الإسلام" للذهبي (٢٩٣/١٥).

[٢٣٠]- تُنظر ترجمته في "تاريخ الإسلام" للذهبي (٣٩٩/١٥).

[٢٣١]- تُنظر ترجمته في "تاريخ الإسلام" للذهبي (٤٤٤/١٥). قال ابن خَلكان في "وفيات الأعيان" (٢٤٣/٣-٢٤٤): (وهو أحد أشياخي الذين انتفعت بهم [...] وقدمت عليه في أوائل شوال سنة اثنتين وثلاثين وستمائة، وأقمتُ عنده بدمشق ملازما الاشتغال مدة سنة).

[٢٣٢]- تُنظر ترجمته في "تاريخ الإسلام" للذهبي (٥٤٩/١٥).

[٢٣٣]- تُنظر ترجمته في "تاريخ الإسلام" للذهبي (٥٦٣/١٥).

١٦- أبو اليمن أمين الدين عبد الصمد بن عبد الوهاب بن الحسن بن محمد ابن عساكر الشافعي, (ت ٥٦٨٦)[٢٣٥].

١٧- أبو محمد فخر الدين عبد الرحمن بن يوسف بن محمد بن نصر البعلبكي الحنبلي, المفتي, حَفِظَ كتاب علوم الحديث لابن الصلاح, وعَرَضَه حفظا على المصنِّف, (ت ٥٦٨٨)[٢٣٦].

١٨- أبو محمد تاج الدين عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع بن ضياء الفزاري البدري المصري الأصل الدمشقي الشافعي الفرِكاح, المفتي, (ت ٥٦٩٠)[٢٣٧].

١٩- أبو حفص فخر الدين عمر بن يحيى بن عمر بن حَمْد الكَرَجي الشافعي, قدم دمشق, فلزم ابن الصلاح, وخدمه وتفقه عليه, (ت ٥٦٩٠)[٢٣٨]. وقد زوجه ابن الصلاح ابنته[٢٣٩].

٢٠- أبو عبد الله شهاب الدين محمد بن أحمد بن سَعَادة بن جعفر الخويي, قاضي القضاة بالشام, (ت ٥٦٩٣)[٢٤٠].

٢٣٤- تُنظر ترجمته في ""تاريخ الإسلام" للذهبي (٥٤١/١٥).

٢٣٥- تُنظر ترجمته في "تاريخ الإسلام" للذهبي (٥٧٢/١٥).

٢٣٦- تُنظر ترجمته في "تاريخ الإسلام" للذهبي (٦٠٨/١٥).

٢٣٧- تُنظر ترجمته في "تاريخ الإسلام" للذهبي (٦٦٠/١٥).

٢٣٨- تُنظر ترجمته في "تاريخ الإسلام" للذهبي (٦٦٩/١٥).

٢٣٩- ينظر: "طبقات الشافعية الكبرى" للسبكي (٣٤٤/٨).

٢٤٠- تُنظر ترجمته في "تاريخ الإسلام" للذهبي (٧٧١/١٥).

٢١- أبو العباس شرف الدين أحمد بن أحمد بن نِعمة بن أحمد النابلسي المقدسي الشافعي, (ت ٦٩٤هـ)[٢٤١].

٢٢- محمد زين الدين بن الحسن بن علي بن إسماعيل الغساني التدمري الشافعي, قاضي تدمر, أخذ عن ابن الصلاح, وتفقه عليه, وذكر أنه سمع منه, (ت ٦٩٧هـ)[٢٤٢].

٢٣- أبو الفضل شرف الدين أحمد بن هبة الله بن أحمد بن محمد بن الحسن ابن عساكر الدمشقي, (ت ٦٩٩هـ)[٢٤٣].

٢٤- أبو عبد الله صدر الدين محمد بن حسن بن يوسف بن موسى الأُرمَوي, قدم دمشق فسمع من ابن الصلاح, وحضر حلقته, (ت ٧٠٠هـ)[٢٤٤].

٢٥- عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد العزيز بن ينة الجزيري السبتي, (ت ٧٠١هـ)[٢٤٥].

٢٦- أبو العباس جمال الدين أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد الشهرزوري الصوفي القادري, ابن أخت ابن الصلاح, سمع علوم الحديث عنه, (ت ٧٠١هـ)[٢٤٦].

٢٧- أبو العباس كمال الدين أحمد بن محمود بن أسد بن سلامة الشيباني, (ت ٧٠٢هـ)[٢٤٧].

---

[٢٤١]- تُنظر ترجمته في "تاريخ الإسلام" للذهبي (٧٨١/١٥).

[٢٤٢]- تُنظر ترجمته في "تاريخ الإسلام" للذهبي (٨٦٣/١٥).

[٢٤٣]- تُنظر ترجمته في "تاريخ الإسلام" للذهبي (٨٩٧/١٥-٨٩٨).

[٢٤٤]- تُنظر ترجمته في "تاريخ الإسلام" للذهبي (٩٥٩/١٥).

[٢٤٥]- تُنظر ترجمته في "برنامج ابن جابر الوادي آشي" (ص: ١٤٧- رقم الترجمة: ١٩٧).

[٢٤٦]- تُنظر ترجمته في "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" لابن حجر العسقلاني (١٦٦/١).

[٢٤٧]- تُنظر ترجمته في "البداية والنهاية" لابن كثير (٢٩/١٦).

٢٨- أبو محمد زين الدين عبد الله بن مروان بن عبد الله بن فيروز بن الحسن الفارقي الشافعي خطيب الشام وشيخ دار الحديث, (ت ٧٠٣هـ)[٢٤٨].

٢٩- أبو العباس شرف الدين أحمد بن إبراهيم بن سباع بن ضياء الفَزَارِي الدمشقي الشافعي, (ت ٧٠٥هـ)[٢٤٩].

٣٠- يحيى بن أحمد بن يوسف بن كامل الحسيني عماد الدين البصروي, (ت ٧٠٥هـ)[٢٥٠].

٣١- أبو الفداء إسماعيل بن عثمان بن محمد بن عبد الكريم ابن المعلم رشيد الدين الحنفي, (ت ٧١٤هـ)[٢٥١].

٣٢- أبو عبد الله ناصر الدين محمد بن يوسف بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن المصري الأصل ابن المهتار الدمشقي الشافعي, (ت ٧١٥هـ)[٢٥٢].

٣٣- أحمد بن علي بن الزبير بن سليمان بن مظفر الجيلي الدمشقي شمس الدين الشافعي, (ت ٧٢٤هـ)[٢٥٣].

٣٤- أحمد بن محمد بن عمر بن عثمان بن عمر, شهاب الدين الصِقِلِّي ثم الدمشقي الحنفي, آخر من حدَّث عن ابن الصلاح, (ت ٧٢٥هـ)[٢٥٤].

---

[٢٤٨]- تُنظر ترجمته في "طبقات الشافعية" لابن كثير (ص:٨٥٦).

[٢٤٩]- تُنظر ترجمته في "البداية والنهاية" لابن كثير (١٦/٤٨).

[٢٥٠]- تُنظر ترجمته في "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" لابن حجر (٤/٤١٣).

[٢٥١]- تُنظر ترجمته في "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" لابن حجر (١/٣٦٩).

[٢٥٢]- تُنظر ترجمته في "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" لابن حجر (٤/٣١٣).

[٢٥٣]- تُنظر ترجمته في "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" لابن حجر (١/٢٠٩).

٣٥- محمد بن محمد بن عبد الله الكتامي التلمساني السبتي ابن الخضار, سمع علوم الحديث لابن الصلاح عليه بدمشق في ٤ شوال عام ٦٣٤هـ, (ت ٧٢٧هـ)[٢٥٥].

وما من شك أنّ هذه الكثرة في التلاميذ والمنتفعين بابن الصلاح إنّما هي نتيجة لما اشتهر به من العلم والورع, وتدريسه في مدارس عدة في آن واحد, وعنايته بمن يدرس عليه, وحب الناس لمجلسه. كما أود الإشارة إلى أن تلاميذ ابن الصلاح ليسوا محصورين في من تلقوا عنه مشافهة, فما تزال الأجيال اللاحقة في كل عصر تستفيد بشكل غير مباشر من علم ابن الصلاح وفضله وسلوكه, وتتلمذ على مدرسة أقواله وسيرته ومواقفه.

المبحث التاسع: وفاة ابن الصلاح.

بعد حياة ملؤها العلم والتدريس وتصنيف الكتب امتدت ستة وستين[٢٥٦] من الأعوام, اختار الحق سبحانه وتعالى «الإمام الحافظ العلامة شيخ الإسلام»[٢٥٧] أبا عمرو ابن الصلاح إلى جواره الكريم, ففاضت روحه في منزله في دار الحديث الأشرفية في صباح[٢٥٨] يوم الأربعاء الخامس

---

[٢٥٤]- تُنظر ترجمته في "البداية والنهاية" لابن كثير (١٨٤/١٦).

[٢٥٥]- تُنظر ترجمته في "برنامج الوادي آشي" (ص: ١٣٢- ترجمة: ١٤٩).

[٢٥٦]- أغرب شمس الدين الداوودي (ت٩٤٥هـ) في "طبقات المفسرين" (٣٨٣/١) حين ذكر أنَّ ابن الصلاح (عاش ستا وثمانين سنة)؛ مع أنه وافق جميع المترجمين في تحديد سنتي الولادة والوفاة. وقد يكون ذلك من تصرف بعض النساخ. رغم أنَّ الكتاب كتب على غلافه: (راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف من الناشر).

[٢٥٧]- "سير أعلام النبلاء" للذهبي (١٤٠/٢٣).

[٢٥٨]- قال الذهبي في "تاريخ الإسلام" (٤٥٧/١٤)، و"سير أعلام النبلاء" (١٤٣/٢٣): (في السَّحَر)، وتبعه ابن كثير في "طبقات الشافعية" (ص: ٧٨٣)، والسبكي في "طبقات الشافعية الكبرى" (٣٢٧/٨). وقال سبط ابن الجوزي في "مرآة الزمان" (٣٩٣/٢٢)، وكذا ابن كثير في "البداية والنهاية" (٢٥٣/١٥): (ليلة الأربعاء).

والعشرين[٢٥٩] من شهر ربيع الآخر سنة ٦٤٣ه[٢٦٠]، وكثر التأسف عليه، وازدحم عليه الخلق، وكانت على جنازته هيبة وخشوع، فَصُلِّي عليه في جامع دمشق بعد الظهر، ثم شُيِّع إلى داخل باب الفرج فصُلِّي عليه هناك ثانية، ولم يَقْدِر الناس على الخروج لدفنه؛ لأن دمشق كانت محاصرة من الخُوارزمية[٢٦١]، ولَم يخرج مَعَهُ إلاَّ نحو عشرة أَنْفُس مخاطرين حتى دفنوه في مقابر الصوفية[٢٦٢] خارج باب النصر، فرحمه الله ونور ضريحه، ورضي عنه، وأسكنه فسيح جناته.

ذلكم هو الرجل:

---

[٢٥٩]- وقيل: (في السادس والعشرين)، ينظر: "الذيل على الروضتين" لأبي شامة (٢٧٠/٥)، و"العبر في خبر من غبر" للذهبي (١٧٨/٥)، و"الدارس في تاريخ المدارس" للنعيمي (١٧/١). وقيل: (في الخامس عشر)، ينظر: "ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة" لابن رشيد (٢١٨/٣)، و"تاريخ علماء بغداد" للسلامي (ص: ١٠٦). في حين اكتفى بعض المؤرخين بذكر الشهر من غير تعيين يوم منه. ينظر: "مرآة الجنان" لليافعي (٨٥/٤)، و"طبقات الشافعية" لابن قاضي شهبة (١٤٥/٢)، و"النجوم الزاهرة" لابن تغري بردي (٣٥٤/٦)، و"الأنس الجليل" للنعيمي (١٨٢/٢).

[٢٦٠]- ينظر: "وفيات الأعيان" لابن خلكان (٢٤٤/٣)، و"ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة" لابن رُشيد (٢١٨/٣)، و"تذكرة الحفاظ" للذهبي (١٤٣١/٤)، و"البداية والنهاية" لابن كثير (٢٥٣/١٥)، و"طبقات الشافعية" للأسنوي (٤١/٢)، و"طبقات الحفاظ" لابن عبد الهادي (ص: ٥٠٣)، و"ذيل التقييد" للتقي الفاسي (١١١/٣)، و"طبقات المفسرين" للداودي (٣٨٤/١)، و"طبقات الشافعية" لابن هداية (ص: ٢٢١)، و"شذرات الذهب" لابن العماد (٣٨٤/٧).
وشذ أبو العباس أحمد بن حسن بن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني (ت ٨١٠ه) في "الوفيات معجم زمني للصحابة وأعلام المحدثين والفقهاء والمؤلفين"، تحقيق: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٣ه - ١٩٨٣م، (ص: ٣١٦)؛ فذكره في وفيات سنة اثنتين وأربعين وستمائة.

[٢٦١]- كان بين الملك الصالح أيوب صاحب مصر، وعمه الصالح إسماعيل صاحب دمشق صراع، وقد استعان الصالح أيوب بطائفة من الخوارزمية لاقتحام دمشق ونزعها من عمه، فتصادف موت ابن الصلاح والخوارزمية يحاصرون دمشق، فتعذر على الذين شيعوه أن يخرجوا إلى ظاهر المدينة لدفنه. ينظر: "البداية والنهاية" لابن كثير (٢٤٨/١٥).

[٢٦٢]- قال السبكي: (قبره على الطريق في طرفها الغربي ظاهر يزار ويُتبرك به). "طبقات الشافعية الكبرى" (٣٢٨/٨). وقال بشار عواد معروف: (وقد دُرست، وقام مكانها عمائر ومستشفى ومسجد). "هامش تاريخ الإسلام للذهبي" (٤٥٧/١٤). وقال محيي الدين علي نجيب محقق "طبقات الشافعية لابن الصلاح" (ص: ٤٧): (ما زال قبره قائما إلى الآن داخل مبنى كلية طب الأسنان، خلف مشفى التوليد، بجوار قبري الإمامين ابن تيمية، وابن كثير، ولم يبق من مقابر الصوفية الدائرة سوى هذه القبور الثلاثة).

إن حياة ابن الصلاح تمثل بحق مدرسة[٢٦٣] معنوية؛ مدرسة تقوم على طلب العلم للعلم والعمل، وحسن القصد في أخذه وإعطائه، والأمانة في ممارسته وتطبيقه، والإخلاص لله تعالى في بيانه، مع قوة الشخصية العلمية، والحرية الفكرية، وقد برزت آثارها في حياة ابن الصلاح، وتأثر بها تلامذته، وتمثلت في حياتهم، وغطت سيرتهم. وهي أمور لعل القارئ اللبيب الحصيف يستفيد منها، ويأخذ عِبرها، ويتأسى بها.

ذلكم هو تقي الدين بن الصلاح، وتلك هي سيرته الشخصية، وبعض ما قيل فيه، ليكون هو الرجل كل الرجل، وليصدق فيه وفي أمثاله قول الشاعر:

هم الرجال، وعيبٌ أن يقال لمن - لم يتصف بمعاني وصفهم: رَجُل![٢٦٤]

قائمة المصادر والمراجع:

١. المصحف برواية ورش عن نافع.
٢. اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥ه)، تحقيق: جمال الدين الشيال، ط: الثانية، سنة: ١٩٩٦م.
٣. أحوال العامة في حكم المماليك ٦٧٨ه - ١٢٧٩/٧٨٤م – ١٣٨٢م دراسة في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، حياة ناصر الحجي، دار القلم للنشر والتوزيع – الكويت، الطبعة: الثانية، سنة: ١٩٩٢م.

[٢٦٣]– استعرت هذه العبارة من الوصف الذي أطلقه محمد المختار ولد اباه في كتابه "تاريخ علوم الحديث" (ص: ٣٩٥) على الاتجاه الحديثي لابن الصلاح.

[٢٦٤]– ذكره أبو العباس المقري في "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب" (٢٦٣/٥) منسوبا لأبي محمد المجاصي (ت ٧٤١ه).

٤. أدب المفتي والمستفتي، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت ٦٤٣ھ)، تحقيق: موفق عبد الله عبد القادر، مكتبة العلوم والحكم، ط: الأولى، سنة: ١٩٨٦م.

٥. إسهامات العلماء الأكراد في بناء الحضارة الإسلامية خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، تريفة أحمد عثمان البرزنجي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة: ٢٠١٠م.

٦. إعجام الأعلام، محمود مصطفى، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، سنة: ١٩٨٣م.

٧. الأعلام لخير الدين الزِّرِكلي (ت ١٣٩٦ھ)، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة السابعة، سنة: ١٩٨٦م.

٨. الأعلام المنسوبون لمدينة شهرزور، ضياء يوسف معروف، مجلة التراث العلمي العربي، إصدار مركز إحياء التراث العلمي العربي – جامعة بغداد، العدد الثاني، سنة: ٢٠١٤م.

٩. إنباء الغُمر بأنباء العمر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ھ)، تحقيق: حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة، سنة: ١٩٩٨م.

١٠. الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مجير الدين الحنبلي (ت ٩٦٧ھ)، تحقيق: محمود عودة الكعابنة، مكتبة دنديس – عَمَّان، ط: الأولى، سنة: ١٩٩٩م.

١١. الأنساب، أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني (ت ٥٥٦٢)، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط: الثانية، سنة: ١٩٨٠م.

١٢. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل ابن كثير (ت ٥٧٧٤)، راجعه: عبد القادر الأرناؤوط وبشار عواد معروف، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر، سنة: ٢٠١٥م.

١٣. برنامج ابن جابر الوادي آشي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن جابر الوادي آشي التونسي (ت٥٧٤٩)، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي – مكة المكرمة، سنة: ١٩٨١م.

١٤. برنامج التجيبي، القاسم بن يوسف التجيبي السبتي (ت ٥٧٣٠)، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، سنة: ١٩٨٠م.

١٥. بلاد الشركس (الإديغي)، محمد بن ناصر العبودي، مطابع التقنية – الرياض، ط: الأولى، سنة: ١٩٩٩م.

١٦. تاريخ الإسلام: السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، حسن إبراهيم حسن، دار الجيل – بيروت، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة، ط: الرابعة عشرة، سنة: ١٩٩٦م.

١٧. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٥٧٤٨)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط: الأولى، سنة: ٢٠٠٣م.

١٨. تاريخ الأكراد، محمد سهيل طقّوس، دار النفائس – بيروت، ط: الأولى، سنة: ٢٠١٥م.

١٩. التاريخ الإسلامي, محمود شاكر, المكتب الإسلامي – بيـروت, ط: السادسة, سنة: ٢٠٠٠م.

٢٠. التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل, أبو الحسن علي بن محمد ابن الأثيـر الجزري (ت ٦٣٠ه), تحقيق: عبد القادر أحمد طليمات, دار الكتب الحديثة – القاهرة, سنة: ١٩٦٣م.

٢١. تاريخ علماء بغداد, أبو المعالي محمد بن رافع السلامي, صححه وعلق على حواشيه: عباس العزاوي, الدار العربية للموسوعات – بيـروت, ط: الثانية, سنة: ٢٠٠٠م.

٢٢.تاريخ مدينة السلام, أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ه), تحقيق: بشار عواد معروف, دار الغرب الإسلامي – بيـروت, ط: الأولى, سنة: ٢٠٠١م.

٢٣. تذكرة الحفاظ, أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبـي (ت ٧٤٨ه), دار الكتب العلمية – بيـروت, ط: الأولى, سنة: ١٩٩٨م.

٢٤.التقييد لمعرفة رواة السنـن والمسانيد, محمد بن عبد الغنـي الحنبلي المعروف بأبي بكر بن نقطة (ت ٦٢٩ه), تحقيق: شريف بن صالح التشادي, دار النوادر – بيـروت, ط: الأولى, سنة: ٢٠١٤م.

٢٥.التكملة لوفيات النقلة, أبو محمد زكي الدين محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت ٦٥٦ه), تحقيق: بشار عواد معروف, مؤسسة الرسالة – بيـروت, ط: الثالثة, سنة: ١٩٨٤م.

٢٦.الثالث من أمالي ابن الصلاح، أبو عمر عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت ٦٤٣ه)، تحقيق: رياض حسين عبد اللطيف الطائي، دار النوادر – سورية، ط: الأولى، سنة: ٢٠١٣م.

٢٧."الجامع الصحيح المسند المختصر من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه"، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـج)، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، سنة: ١٣١١هـج، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني، ثم صَوّرها بعنايته: محمد زهير الناصر، ط: الأولى، سنة: ١٤٢٢هـج، دار طوق النجاة – بيروت.

٢٨.الجانب المنطقي في فلسفة الغزالي، محمد عبد الستار نصار، حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة قطر، العدد: الرابع، سنة: ١٩٨٥م.

٢٩.الجمهورية العربية السورية، محمد عبد الحميد الحمادي، ضمن الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – السعودية، سنة: ١٩٩٩م.

٣٠.الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة: ١٩٨٢م.

٣١.حضارة العراق، تأليف: نخبة من الباحثين العراقيين، دار الحرية – بغداد، سنة: ١٩٨٥م.

٣٢. الحياة العلمية في مصر والشام (٥٥٢١-٥٦٤٨)، محمد حلمي محمد أحمد، المجلة التاريخية المصرية، سنة: ١٩٥٨م، المجلد السابع.

٣٣. خزانة الكتب: كتب علوم الحديث، إعداد القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية، إشراف علوي بن عبد القادر السقاف.

٣٤. خطط الشام، محمد كرد علي، مكتبة النوري – دمشق، ط: الثانية.

٣٥. الدارس في تاريخ المدارس، عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي (ت ٥٩٧٨)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، سنة: ١٩٩٠م.

٣٦. الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٥٨٥٢)، دار الجيل – بيروت، سنة: ١٩٩٣م.

٣٧. الدولة العباسية، محمد الخضري، تحقيق: محمد العثماني، دار القلم – بيروت، ط: الأولى، سنة: ١٩٨٦م.

٣٨. الدولة الخوارزمية والمغول، حافظ أحمد حمدي، دار الفكر العربي، سنة: ١٩٤٩م.

٣٩. ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، أبو الطيب محمد بن أحمد الحسني المكي المعروف بالتقي الفاسي (ت ٥٨٣٦)، تحقيق: محمد صالح المراد، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي – مكة المكرمة، ط: الأولى، سنة: ١٩٩٧م.

٤٠. الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري المراكشي (ت ٧٠٣ه)، تحقيق: إحسان عباس ومحمد بن شريفة وبشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط: الأولى، سنة: ٢٠١٢م.

٤١. رحلة ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي (ت ٦١٤ه)، دار صادر – بيروت، (غفل من رقم الطبعة وسنتها).

٤٢. روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية، راغب السرجاني، نهضة مصر - مصر، ط: الأولى، سنة: ٢٠١٠م.

٤٣. الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحميري، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان – بيروت، ط: الثانية، سنة: ١٩٨٤م.

٤٤. الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة (ت ٦٦٥ه)، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الأولى، سنة: ١٩٩٧م.

٤٥. السلاجقة في التاريخ والحضارة، أحمد كمال الدين حلمي، مكتبة ذات السلاسل – الكويت، الطبعة: الثانية، سنة: ١٩٨٦م.

٤٦. السلوك لمعرفة دولة الملوك، أبو العباس أحمد بن علي العبيدي المقريزي (ت ٨٤٥ه)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، سنة: ١٩٩٧م.

٤٧. سير أعلام النبلاء، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٥٧٤٨)، أشرف على التحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الثالثة، سنة: ١٩٨٥م.

٤٨. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبو الفرج عبد الحي بن أحمد العكري المعروف بابن العماد (ت ٥١٠٨٩)، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير – دمشق – بيروت، ط: الأولى، سنة: ١٩٨٦م.

٤٩. صلاح الدين الأيوبي، علي الصلابي، دار المعرفة – بيروت، ط: الثانية، سنة: ٢٠٠٨م.

٥٠. الصلة، أبو القاسم خلف ابن بشكوال (ت ٥٥٧٨)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري – القاهرة، دار الكتاب اللبناني – بيروت، ط: الأولى، سنة: ١٩٨٩م.

٥١. صيانة صحيح مسلم وحمايته من الإسقاط والسقط، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت ٥٦٤٣)، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة: ١٩٩٤م.

٥٢. طبقات المفسرين، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي (ت ٥٩٤٥)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، سنة: ١٩٨٣م.

٥٣. طبقات الحفاظ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٥٩١١)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، سنة: ١٩٨٣م.

٥٤. طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن محمد ابن قاضي شُهبة (ت ٥٨٥١)، تحقيق: عبد العليم خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد الدكن – الهند، ط: الأولى، سنة: ١٩٧٩م.

٥٥. طبقات الشافعية، جمال الدين عبد الرحيم الأُسنوي (ت ٧٧٢ه)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط: دار الكتب العلمية – بيـروت، ط: الأولى، سنة: ١٩٨٧م.

٥٦. طبقات الشافعية، أبو عمر عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت ٦٤٣ه)، هذبه ورتبه واستدرك عليه: أبو زكريا محيـي الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦ه)، بيض أصوله ونقحه: أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي (ت٧٤٢ه)، تحقيق: محيـي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية – بيـروت، ط: الأولى، سنة: ١٩٩٢م.

٥٧. طبقات الشافعية، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر ابن كثيـر (ت ٧٧٤ه)، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، دار المدار الإسلامي – بيـروت، ط: الأولى، سنة: ٢٠٠٤م.

٥٨. طبقات الشافعية، أبو بكر هداية الله الحسينـي (ت ١٠١٤ه)، تحقيق: عادل نويـهض، دار الأفاق الجديدة – بيـروت، ط: الثالثة، سنة: ١٩٨٢م.

٥٩. طبقات الشافعية الكبـرى، أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكـافي السبكي (ت ٧٧١ه)، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية – مصر، سنة: ١٩٦٤م.

٦٠. طبقات علماء الحديث، أبو عبد الله محمد بن عبد الهادي (ت ٧٤٤ه)، تحقيق: أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة – بيـروت، ط: الثانية، سنة: ١٩٩٦م.

٦١. العبـر في خبـر من غبـر، أبو عبد الله شمس الدين الذهبـي (ت ٧٤٨ه)، التـراث العربي – سلسلة تصدرها دائرة المطبوعات والنشر في الكويت.

٦٢. العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي المعروف بابن الملقن (ت ٨٠٤هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، سنة: ١٩٩٧م.

٦٣. علوم الحديث، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق: نور الدين عتر، دار الفكر المعاصر – بيروت، دار الفكر – بيروت، سنة: ١٩٨٦م.

٦٤. علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن (ت ٦٤٣هـ)، وشرحه التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من مقدمة ابن الصلاح للحافظ زين الدين العراقي (ت ٨٠٦هـ)، وتعليقات عليه في الذيل لناشر الكتابين: محمد راغب الطباخ سماها المصباح على مقدمة ابن الصلاح، المطبعة العلمية – حلب، ط: الأولى، سنة: ١٩٣١م.

٦٥. فتاوى ومسائل ابن الصلاح، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المعرفة – بيروت، ط: الأولى، سنة: ١٩٨٦م.

٦٦. الفتح المبين في طبقات الأصوليين، عبد الله مصطفى المراغي، قام بنشره: محمد علي عثمان، مطبعة أنصار السنة المحمدية – مصر، سنة: ١٩٤٧م.

٦٧. الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، مؤسسة آل البيت – عَمَّان، ط: الثانية، سنة: ١٩٩٤م.

٦٨. فهرس الفهارس، عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني (ت ١٣٨٢هـ)، اعتناء: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط: الثانية، سنة: ١٩٨٢م.

٦٩. فهارس المكتبات الخطية النادرة: فهرس المخطوطات العربية بالمكتبة الملكية في برلين، إعداد: وليم الورد، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية – بيروت، سنة: ١٨٩٧م.

٧٠. الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير(ت ٦٣٠ه)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي – بيروت، سنة: ٢٠١٢م.

٧١. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني المعروف بكاتب جلبي وبحاجي خليفة (ت ١٠٦٨ه)، تحقيق: إكمال الدين إحسان أوغلي وبشار عواد معروف، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي – مركز دراسات المخطوطات الإسلامية – لندن، ط: الأولى، سنة: ٢٠٢١م.

٧٢. اللباب في تهذيب الأنساب، أبو الحسن عز الدين علي بن محمد ابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠ه)، مكتبة المثنى – بغداد، (غفل من رقم الطبعة وتاريخها).

٧٣. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي (ت ٧١١ه)، دار صادر – بيروت، (غفل من رقم الطبعة وتاريخها).

٧٤. مجلة مركز بحوث السنة والسيرة – جامعة قطر، العدد: الثالث، سنة: ١٩٨٨م.

٧٥. مرآة الجنان وعبرة اليقظان، أبو محمد عبد الله بن أسعد اليافعي (ت ٧٦٨ه)، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، سنة: ١٩٩٧م.

٧٦. مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قُز أوغلي بن عبدالله المعروف بسبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤ه)، الرسالة العالمية – بيروت، ط: الأولى، سنة: ٢٠١٣م.

٧٧.مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت ٥٧٣٩)، تحقيق: علي البجاوي، دار الجيل – بيروت، ط: الأولى، سنة: ١٩٩٢م.

٧٨.مساجلة علمية بين الإمامين الجليلين العز بن عبد السلام وابن الصلاح حول صلاة الرغائب المبتدعة، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت، ط: الثانية، سنة: ١٤٠٥ه.

٧٩."المسند الصحيح" (صحيح مسلم)، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٥٢٦١)، تحقيق: مركز البحوث دار التأصيل، ط: الأولى، سنة: ٢٠١٤م، دار التأصيل – بيروت – القاهرة.

٨٠. معجم الأصوليين، محمد مظهر بقا، جامعة أم القرى – معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي – مركز بحوث الدراسات الإسلامية – مكة المكرمة، ط: الأولى.

٨١. معجم البلدان، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٥٦٢٦)، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية – بيروت.

٨٢.معجم التاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم، إعداد: علي الرضا قره بلوط وأحمد طوران قره بلوط، دار العقبة / قيصري – تركيا، (غفل من رقم الطبعة وتاريخها).

٨٣. المعجم المفصل في الأشجار والنبات في لسان العرب, كوكب دياب, دار الكتب العلمية – بيروت, ط: الأولى, سنة: ٢٠٠١م.

٨٤. معرفة أنواع علم الحديث, أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت ٦٤٣ه), تحقيق: ماهر ياسين الفحل وعبد اللطيف الهميم, دار الكتب العلمية – بيروت, ط: الأولى, سنة: ٢٠٠٢م.

٨٥. معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه, أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ه), تحقيق: أحمد بن فارس السلوم, مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض, ط: الثانية, سنة: ٢٠١٠م.

٨٦. معيد النعم ومبيد النقم, تاج الدين عبد الوهاب السبكي (ت ٧٧١ه), مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت, ط: الأولى, سنة: ١٩٨٦م.

٨٧. مفتاح السعادة ومصباح السيادة, أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده, دار الكتب العلمية – بيروت, ط: الأولى, سنة: ١٩٨٥م.

٨٨. المقدمة, عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت ٨٠٨ه), تحقيق: خليل شحادة وسهيل زكار, دار الفكر – بيروت, سنة: ٢٠٠١م.

٨٩. مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح للبلقيني, تحقيق: عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ), دار المعارف – القاهرة, ط: الثانية, سنة: ٢٠١٧م.

٩٠. ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة, أبو عبد الله محمد بن عمر بن رُشيد السبتي (ت ٧٢١ه), الدار التونسية للنشر – تونس, سنة: ١٩٨٢م.

٩١. منادمة الأطلال ومسامرة الخيال, عبد القادر بدران (ت ١٣٤٦ه), المكتب الإسلامي للطباعة والنشر – دمشق, ط: الأولى.

٩٢. موسوعة المدن والمواقع في العراق, بشير يوسف فرنسيس (ت ١٩٩٤م), إعداد: جنان بشير يوسف وزياد أيمن بشير, تقديم: الأب آلبير ابونا, إصدارات إي-كتب, لندن, ط: ١, سنة: ٢٠١٧م.

٩٣. النجوم الزاهرة في أخبار, أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤ه), الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر, (غفل من رقم الطبعة وتاريخها).

٩٤. نخبة الدهر في عجائب البر والبحر, أبو عبد الله شمس الدين محمد أبو طالب الأنصاري المعروف بشيخ الربوة, طُبع في مدينة بطربورغ في مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية, سنة: ١٨٦٥م.

٩٥. نشأة الإقطاع في المجتمعات الإسلامية, عبد العزيز الدوري, مجلة المجمع العلمي العراقي, المجلد: ٢٠, سنة: ١٩٧٠م.

٩٦. النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، أبو المحاسن بهاء الدين يوسف بن رافع المعروف بابن شداد (ت ٦٣٢هـ)، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي – القاهرة ط: الثانية، سنة: ١٩٩٤م.

٩٧. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت ١٣٩٩هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٩٨. الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن قائد، دار عالم الفوائد – مكة المكرمة، ط: الأولى، سنة: ١٤٢٥هـ.

٩٩. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى، سنة: ٢٠٠٠م.

١٠٠. الوفيات (معجم زمني للصحابة وأعلام المحدثين والفقهاء والمؤلفين)، أبو العباس أحمد بن حسن بن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني (ت ٨١٠هـ)، تحقيق: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط: الرابعة، سنة: ١٩٨٣م.

١٠١. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، سنة: ١٩٩٤م.

..... ***** .....